هدية الأستاذ الشريف الحاج عيسى

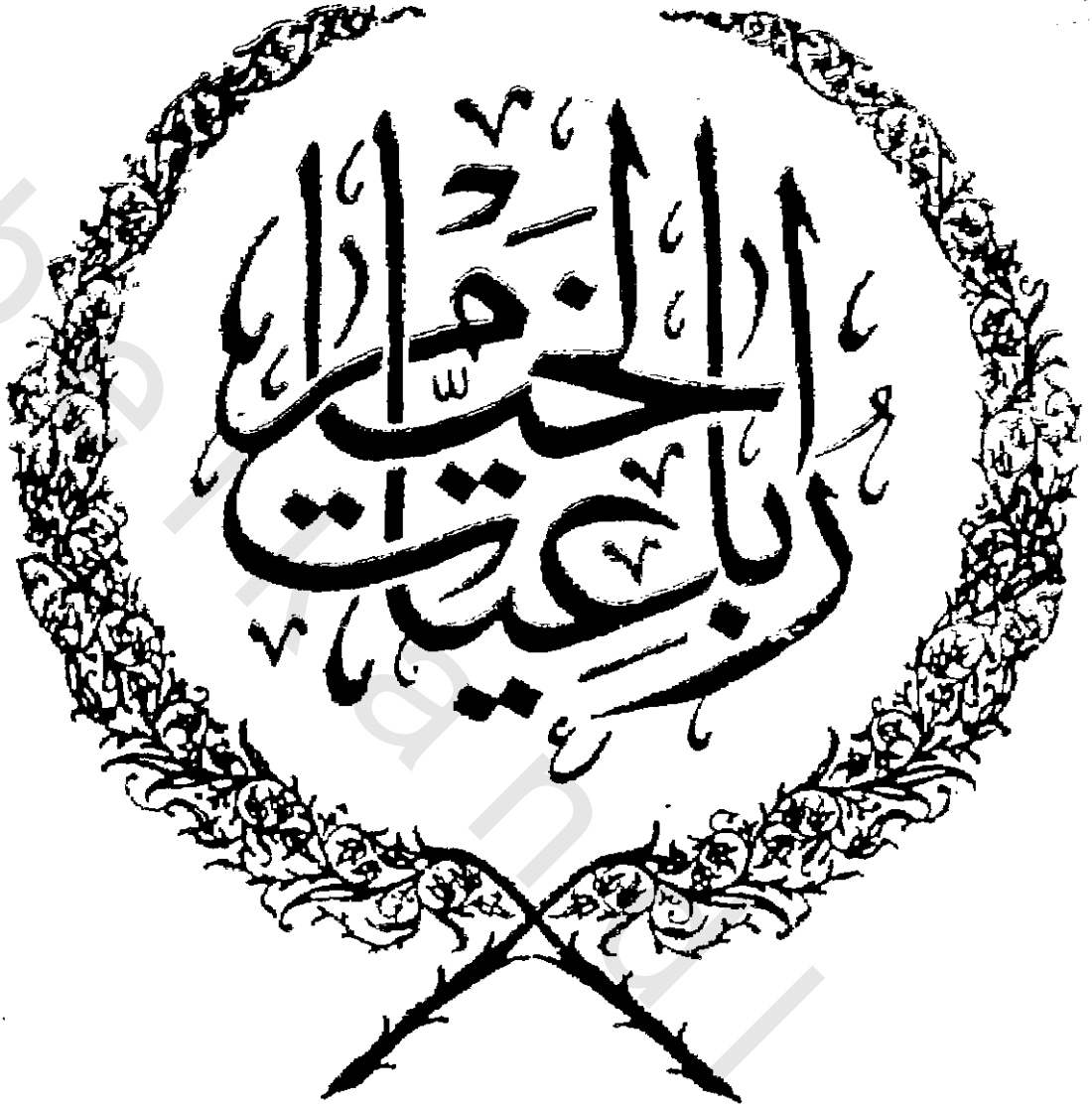

نظمها بلغة الأدب الشعبي

حسين مظلوم رياض

يطلب من

مكتبة مصر ومطبعتها

٦٣ شارع الفجالة بمصر

لجنة النشر للجامعيين (لجنة الإنتاج الفني)

أصـــدرت

أحمـــــــس	عبد الحميد جوده السحار	مايو سنة ١٩٤٢
رادوبيـــــس	نجيب محفـــــوظ	يولية سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغـــفاري	عبد الحميد جوده السحار	سبتمبر سنة ١٩٤٣
قمبـــــابل	محمود تيمـــور بك	نوفمبر سنة ١٩٤٣
أخناتون ونفرتيتي	على أحمـــد باكثير	ديسمبر سنة ١٩٤٣
ثلاثة رجال وامرأة	عبـــد القادر المـازني	يناير سنة ١٩٤٤
أقاصـــــيص	المازني ، تيمور ، المصري سعيد عبده ـ صلاح ذهني عادل كامل ـ نجيب محفوظ أبو الفضل ـ السحار	فبراير سنة ١٩٤٤
سلامـــة القس	على أحمد باكثير	مارس سنة ١٩٤٤
ويك عنـــــتر	عادل كامـــــل	ابريل سنة ١٩٤٤
رباعيـــات الخيام	حسين مظلوم رياض	» سنة ١٩٤٤

تحت الطبع

بلال مؤذن الرسول	عبد الحميد جوده السحار	مايو سنة ١٩٤٤

obeikandl.com

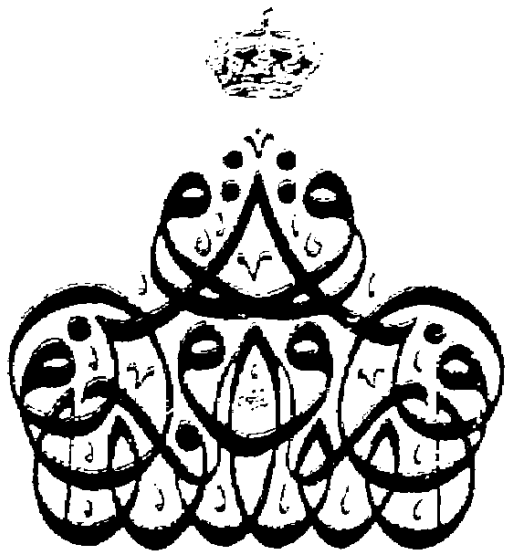

شعبك هلال الشعوب وانت هـــلال الشباب
ولك فى عرش القلوب فى كل مهجه ســـكتاب

ومصرك الفاروقيـــه
لهـــا المكانه العليه
على البـــلاد أجمعين

مولاى : عنـــدك تحف والمكتبه بحـــر زاخر
إقبل هدية صـــدف خليها وسط الجواهر

رمز الولاء والتحيه
ولو قبلت الهـــديه
أكون من الشاكرين

حسين مظلوم رياض

obeikandl.com

obeikandl.com

تصـــدير

بقلم نقيب الأدباء

كامل كيلانى

قال لى صاحبي : سمعت أنك وعدت بتقديم بعض الأزجال وهو تناقض غير عادى واضطراب لا سبيل إلى تعليل شذوذه فهلا تفصح لنا عن مصدر هذا التناقض الذى أشرفت على الوقوع فيه ! كيف تسمى من يقف حياته على الإشادة بالفصحى وتلقينها الأطفال منذ نشأتهم ثم يشفع حماسته للفصحى بحماسة جديدة لجمائية للغة الشعب يعلنها فى كتاب من كتبها مهما بلغ من الروعة والإعجاب فلن تخرج لغته عن العامية ؟

قلت : الآن عرفت أنك مسرف فى دهشتك ولكنى أسألك فى غير تحد ولا تفنيد . - ألا يعجبك غناء البلبل ؟

قال : بلى وبملأ نفسى بهجة وانشراحا - وهل ترى أن الزجل كالغناء الطير جدير أن نشجعه ونهتف له ونحبب الجمهور العربى فيه ؟

قلت : بل إن كراهيتى للزجل كراهية أصيلة لا سبيل إلى تغييرها وحاربتى له محاربة عارمة لا هوادة فيها ولكن « لكل قاعدة شواذ »

قال : ألا تكاشفنى بدخلة نفسك ؟ كن صريحاً يا أخى وأعلن فى

مقدمتك أنك مضطر إلى تغيير مبدئك لتجزى بالوفاء من وفى لك، وتكافئ بالإغراق فى الثناء من أغرق فى الثناء عليك ،

قلت : ما أبرىء نفسى من تهمة يحاول أن يلصقها بى من أحسن ظنه أو أساء ولكنك تعلم أن وفائى للفن لا يقل عن وفائى للأصدقاء ، فأنا لا أجامل الصديق على حساب الفن ، ولا أظلم الفن فى سبيل الصداقة ، ولن تقف كراهيتى للغة القوم ، ومحاربتى إياها دون الاعتراف لمن يبدع فيها بمدى تفوقه وإبداعه؛ ولن تقف خصومتى لتلك اللغة دون الاعتراف بما يسديه للشعب المخلصون من خدامها المثقفين ، وبما يقدمونه إليهم من غذاء فكرى صحيح وتوجيه إصلاحى رشيد ، لا سيما إذا وجه المبدع فنه الصادق إلى رفع السواد وتحسين لغته .

ولا تنس أيها الصديق أن صاحبى الذى أقدم له كتابه قد فتح فى أدب الشعب باباً جديداً واختط لتثقيفه منهجاً رشيداً وحقق فى سبيل تنويره أملا بعيداً ، فقرب له من شارد المعانى ، وأسلس له من جامح الخواطر وفتح له من مغلق السدود ما لم يسبقه إليه غيره من أئمة هذا الفن فى كافة عصوره — فله فى هذا الباب الجديد — فضل السبق ، وفضل التجويد ، وفضل الإبداع .

فقال صاحبى : وقد شاعت فى أساريره أمارات الإعجاب بعد أن زالت منها أمارات الحيرة — وأى باب مغلق فتح على يديه ؟

قلت : هل كان يدور بخلدك أن تنقل رباعيات الخيام إلى لغة الخواص المتداولة فى عبارة تسمو فى لغتها العامية حتى تدنو من أسلوب الفصحى، وتعلو بأناقتها وتجويدها حتى تذكرنا بالفنون الرائعة

التى أبدعها أفذاذ الزجالين من شعراء الأندلس فى موشحاتهم ومقطوعاتهم ومواويلهم الساحرة .

إن كل زجال يعنى برفع فنه وينجح فى تثقيف سواد أمته لهو جدير منا لا أقول بالتقدير بل أقول ، بالإعجاب والإكبار .

ولقد رأيت صاحبى يعجب بأفذاذ شعرائنا كالمعرى وابن الرومى وابن زيدون والبحترى والمتنبى ، ويروى لهم ويشيد بذكرهم فلم أستكثر على مثل طبعه الموهوب أن يقول فى رباعيات الخيام التى ابدعها فنه الجميل فى النشيد الأول :

كام عرايس فى البساتين من زهور كام ثغور للورد أشهى من الثغور
كام غصون فى الميل تغير منها الخصور كام قوام مياس بخفه واعتدال
فيه عيون المنرجسه كحل وحور

أو يقول :

كلنا عايشين فى بستان الأمل بين رياحين الخيال يمكن لعمل
ربما ياريت عسى يحلى الغزل للنجوم نشكى الحبيب ويا الهلال
فى أمانى الوجد فى ليل السهر

أو يقول :

مخلوقات الكون أبوها وأمها من تراب الأرض أولاد بطنها
بعد حين ضمت عيالها فى حضنها فى حنان الأم ترجع للمآل
واللى كان فوق سطحها يبات فى حفر

من نفس خارج من الصدر اندفع جه نفس لم يهتدى خاب وانقطع
والحياة نفسين مادام زاد وارتفع يبتدى فى النقص من بعد الكمال
زى نقص البدر حين يكمل قمر

أو يقول فى النشيد الثانى :

والحياة زهره فى بستان العدم
أصلها غرس الإراده فى القدم
لغز سموه الأجل سر القلم
نور جبين حلو الرضاب شعره كان فوقه حجاب
زى ماغطى الأجل نور الجبين

كلنا أشباح خيال تحت الستاير
جوا حفلة رقص فيها اللعب داير
والمصابيح ازدهت فيها المناظر
تنتهى الحفله تعود ليل حسب طقس الوجود
والخيالات تختفى للناظرين

تحت فصلين مسرح الليل والنهار
طلعوا أطفال الحياة شياب كبار
كلهم نايمين يجى سيل من بحار
والتعيس ويا السعيد يصحى للسفر البعيد
يصبح المسرح جميعه راحلين

قال صاحبى : لقد أبدعت فى صوغ الأدلة وضرب الأمثال كما أبدعت فى اختيار المثال

قلت : بل أبدع شاعر الشعب مظلوم الذى نظم من سنى الأزهار والرياحين طاقة رائعة لعشاق الجمال ؟

كامل الكيلانى

الفن الخالد

فى رباعيات الخيام

« تفضل زميلى الأستاذ الشاعر الزاجل محمود »
« رمزى نظيم بهذه الكلمه فى الرباعيات قال »

حاول دعاة المدرسة الحديثة بكل الوسائل والدعايات ، محاربة فن الزجل ، فوقف حماته سداً مانعاً وحصناً حائلا ، يذودون عن فنهم الخالد بذلك الفيض السهل الممتنع الذى أجراه الله على ألسنتهم وفى أقلامهم فناً يتغنى به المغنون وينشده المنشدون ويترنم به المترنمون ، فيطرب العالم وتهتز جوانحه ، وتسرى فيه نشوة الطرب والسرور .

وللزجل فى غير مواقف الطرب والنشوة والموسيقى مواضع أخرى للخلود والعظمة تسابق فى ميدانها أئمة الفن وأمراؤه الذين نشأوا فى ظل دوحته وتساقوا كؤوسه صافية مترعة فكانوا جميعاً قوة للفن وحياة وتجديداً — ثم شاء شيخ الزاجلين بغير منازع وأمامهم بغير مدافع صديقنا الأستاذ الكبير حسين مظلوم رياض أن يتوج جهود زملائه بآية خالدة لم يسبق إليها فعمد إلى ترجمة — رباعيات الخيام — بالزجل فيسر الله له الطريق ووهبه الإلهام فسبكها فى ثلاثة أناشيد تضمنها هذا الكتاب فجاءت مثلا أعلى لروح الخيام وخلوداً دائما لفن الزجل — ومن أشد غيرة على الفن من مظلوم الذى ظل يكافح فى سبيله ويذود عن حياضه بقلمه وابتداءا

نصف قرن من الزمان يصول ويجول منتصراً لفنه متشبثاً بكرامته .

ولرباعيات الخيام تراجم شعرية كثيرة للأساتذة الشعراء وديع البستاني ومحمد السباعي وأحمد رامي وكلها رائعة ولكن الروعة كل الروعة في ترجمة مظلوم فقد كان حريصا على النزعة الصوفية لعمر الخيام فوفى معانيها حقها وأشبعها من روحانيتها ، وسكب فيها من سحر المعاني المعجز المعجب — وأشهد الله أنني ماعرفت بين الزاجلين أقوى من مظلوم في لفظه وأعمق منه في معانيه فهو فن حي وهو روح الفن وجثمانه بل روحه وريحانه وخمره ودنانه وسماره وندمانه ، وما تجلى مظلوم في الفن كما تجلى في رباعيات الخيام فقد سمابها إلى أعلى سماوات الفن وحلق في أرفع مكان منه فتنزل عليه وحيه فكان أناشيد الرباعيات — وقد علم أهل الأدب أن رباعيات الخيام استعصت على الناقلين من شعراء الغرب والشرق ، فلها مئات التراجم عن الفارسية ونقلها إلى الزجل أشد وأقسى ولكن لغير الزاجلين الموهوبين فقد أوتي الزجل من الاتساع للمعاني مالم يتسع له الشعر فما قيدته قافية ، ولا وقف عند حد من الأوزان ، فقوافيه طليقة وأوزانه تخطت الحصر فوسع صدره كل معنى طريف وكل سمو روحي فكان منه الطرب وكان منه الفن .

هذه كلمتي في رباعيات الخيام الزجلية والله المسئول أن يمد في عمر صديقنا الأستاذ مظلوم ليجدد ويخلد الفن بما وهبه الله من قوة براعة وصياغة وصناعة والخير من عند الله

أبو الوفاء

محمود رمزي نظيم

تقدمة الأستاذ الكبير مصطفى الصباحى

لو أن ما يطلب إلىّ فى هذه المقالة بحث فى حياة الخيام لهان الأمر ولساهمت فى المسألة جهد الطاقة وأدليت فيها بما يساورنى فى أمر هذا الرجل من آراء وأفكار .

ولو أن المطلوب نقد لكتاب وضع فى سيرة الخيام وحياته وآرائه وفلسفته ومذاهبه لكان أهون علىّ وأقل مؤونة ومشقة .

ولكنما الأمر أجل من ذلك شأناً وأرفع منزلة وأعلى مكاناً لاتصاله بمسألة عامة تختلف عندها الآراء ، وتتشعب المذاهب ويقع عليها الخلاف بين طبقات الكتاب وجماعة الأدباء وأهل الرأى والنظر من أبناء العربية : ذلك لأن الخيام — وهو رجل فيلسوف متزهد أو متصوف متعبد أو كائناً ما كان شأنه — إنما هو شخص عالمى الفكر بعيد الآفاق غير محدود المكانة فى عالم الفلسفة والبحث فإذا نقلت رباعياته إلى لغة من اللغات فإنما تنقل على أنها طراز أعلى لسمو الروح ودقة الحس وعلى أنها نسيج رفيع من ذوب الفكر الخالص الحر الذى لا يتقيد بالحدود ولا تقف دونه العقبات ولا ينتقص من مقدرته قيد من العرف أو العقيدة ولا يرده عن ملتقى آفاقه رغب أو رهب فهو لا يزال يسمو حتى يبلغ الجو الذى لا ترتفع إليه المادة ويدق حتى يخرج من نطاق المحسوسات والمرئيات فينطلق إلى الغاية متسرحا من الحوائل والموانع .

وهو لهذا جدير بأن يتحرى الأدباء من الكتاب والشعراء حين ينقلون شعره أو رباعياته إلى لغاتهم وضعها فى الأسلوب المتخير الرفيع الذى تبتهج به خواطر خاصة الخاصـــة وتجد فيه مراحاً لأفكارها وغذاء لعقولها وموضعاً لتقديرها . . وقد اضطلع بهذه المهمة الجليلة كبار الشعراء من الإنجليز وغيرهم من أدباء الأمم الحية الراقية فزادوا على نقل رباعيات الخيام مباحث فلسفية عظيمة القيمة عن حياة الخيام ومذاهبه واتجاهاته .

فأما فى العربية فقد نقلت لهذه الرباعيات ترجمات أربع بلغ بعضها نهاية الجودة فى باب البلاغة وحسن الأداء ؛ ولكن الخلاف واقع بين جماعة الأدباء على أى هذه الترجمات أوفى بالمعنى وأدق فى نقل آراء الخيام على حقيقتها والمرجح لدى أكثر أهل الرأى أن أحداً لم يبلغ الكمال ممن نقلوها إلى العربية — فى الترجمة الحقة عن مذاهب الخيام وآرائه . . فهو قد أثار مسائل متصلة بالفناء والخلود والحلول — وأثار مسائل متعلقة بالحساب والعقاب والبعث والنشور وأثار كثيراً مما يدخل فى باب البحوث الدينية والفلسفية — ولكن ترجمة من هذه الترجمات لم تؤد الغرض كاملا فإن بعضها تجاوز فيه صاحبه عن بعض آراء الخيام وبعضها عمد ناقله إلى التحوير فى هذه الآراء والزيادة عليها والانتقاص من أطرافها بحيث لا يمكن أبداً أن يعول باحث على هـذه الترجمات فى تبين صفة الخيام الحقة ومذاهبه الصحيحة واتجاهاته الصريحة .

هذا من ناحية . . . ومن ناحية أخرى فإن هذه الترجمات تتفاوت

فى درجة البلاغة وسلامة التعبير وبين بعضها وبعض تفاوت كبير فى العبارة وفى المعانى : فأما التفاوت فى العبارة فهو بلاشك ـ راجع إلى القوة البيانية والمقدرة الإنشائية لدى ناقل الترجمة . وأما التفاوت فى المعنى وهو بيت القصيد فإنما مرجعه إلى فهم الناقل مايريد نقله وتغلغله فى نفسية المنشىء الأول وتمثله فى هيئته ومعيشته وحياته وما يتناول من بحث وما يمارس من عمل ثم مقارنة ذلك كله بمحصل مايدعو إليه من آراء — وليقوم الشخص على مثل هذا البحث ينبغى أن تتوفر له ثلاثة أشياء يأمن معها الخطأ فى النقل : أولها أن ينقل عن أصل صحيح لا مطعن عليه فهو بذلك يأمن مايدس على المنشئين الأولين من سقط وزور . . . وثانيها أن يكون مقتدراً فى اللغتين التى ينقل عنها والتى ينقل إليها وبهذا يستطيع أن ينقل صورة صادقة عن الأصل الصحيح — فأما الثالث فهو الدعامة التى لايستقيم البناء إلا بها والمركز الذى لاتدور الدائرة إلا عليه — وذلك أن يكون بين الناقل والمنقول عنه مشابهة فى شأن من الشئون أو مشاركة فى حظ من الحظوظ أو مناسبة فيما يتصل بأمرهما من ظروف فإنه بذلك حرى أن يكون كالمؤلف الأول سواء بسواء فى أداء العبارة وتصوير المعنى تصويراً صادرا عن الإحساس به وتذوقه لا عن تخيله أو الحكاية عنه .

وأغلب الظن أنه إن كان وقع لبعض الناقلين إلى العربية شىء من هذه الأمور فيما نقلوه عن الخيام فإنه لم تتفق لأحدهم كلها ولم تستقم لبعضهم عندما حاولوا ترجمة الرباعيات . فجاءت لذلك متناقضة كصورة ناقصة تناولها رسامون مختلفو المذاهب فى أصول التصوير والرسم

متباينو المشارب والأهواء غير متفق الظروف والملابسات فهى صورة كاذبة فى أوضاعها المختلفة لأن كل وضع إنما يؤدى معنى لا يتصل إلا بمصوره ولا مناسبة بينه وبين الأصل وإن اتفق معه فى العرض الظاهر فهو مخالف له تمام المخالفة فى الجوهر.

ولا خلاف لدينا على أن لغة الرباعيات فى الأصل الفارسى كانت أرقى ماتصل إليه مقدرة شاعر من أهل هذا اللسان فكذلك قال الناقلون عن الفارسية جميعاً بعد أن اعترف بهذه الحقيقة أدباء الفرس وشعراؤهم وكذلك نعتقد نحن أن ناقلى الرباعيات إلى العربية وإن أحسن بعضهم الصياغة وجود السياق لم يصلوا إلى مرتبة التصوير الصادق لإحساسات ذلك الفيلسوف الرفيع المذاهب — ولم يبلغوا الأفق الذى تسامت إليه عبقريته الفذة وذهنه المرتب الدقيق والذين يعنون بالجوهر دون العرض لا يعلقون كثيرا على العبارة وقد يتجاوزون عن معايب كثيرة فى رونقها وسبكها وسياقتها إذا هم وصلوا من ذلك إلى اللباب من المعانى والحر من الآراء والأفكار ومن أجل ذلك كان نقل الرباعيات إلى لغة الأدب القومى ولسان الشعب العربى الدارج عملا جديداً على أبناء العربية بل إن هذا العمل فى ذاته يحمل على الدهشة والعجب — لأنه كما قلنا من قبل جدير بهذه الرباعيات أن تختار لها السياقة القوية والديباجة الرائقة فى أفصح اللهجات وأبين اللغات.

ولكن العقل لا يتقيد والفكر حر وهو ملك للجميع ليس وقفا على طبقة دون طبقة ولا ميراثاً يورثه الشعراء والفصحاء بعضهم بعضاً فقد يكون الرجل العامى فيلسوفا وهو لا يدرى وحكيما وهو

لا يعرف وبليغا ولكنه غير معرب فكم من حكمة تجلت كالجوهرة الكريمة فى شعر شاعر وإنما التقطها من فم عامى وصدر خلى من العلوم والمعارف وقلب لم يحو عبارة من كتاب ولم يتأدب بأدب الخواص. إنه إذن طراز جديد من العمل الأدبى ولون طريف من الأدب الشعبى جدير بأن يفحصه الفاحصون ويتناوله الناقدون بالمعايير التى تناسبه والمقاييس التى تصلح له ـ فإذا تبين أن الناقل أحسن النقل فى أسلوبه وجود العبارة فى نطاقه ـ وأدّى الأمانة كما ينبغى أن يؤدّيها الأديب المؤتمن على ثمرات عقول السالفين والأقدمين ـ كان ذلك سبباً للإشادة بذكره والاعتراف له بالفضل فى بابه.

وليكون الحكم صادقاً ودقيقاً ينبغى أن نعرض للناقل عرضاً سريعاً ونبادر هنا فننفى كل ظن قد يخطر على بال القارىء من أثر الصداقة التى تجمع بيننا وآصرة المودة التى تضمنا فإنّ الأدب الصحيح صريح لا يخجلُ وحرٌّ لا يتأثر وليس تمنعنا الصداقة من تبيان العيوب ـ ولا تحملنا الجفوة على افتعال الذنوب.

فالأستاذ حسين مظلوم رياض كما أعرفه رجلٌ فذٌّ فى بابه فريد فى معناه لا يتفق وكثيراً من زُملائه فى تعريف الخير والشرّ ولا تتفق له معهم مشاركة ـ فى مشارب الحياة ـ يذهبُ مذاهب دقيقةً فى تفسير بسائط الأمور فتتفتح عليه مذاهب كثيرة من مذاهب النظر فيشغله الدقيق إشتغاله بالجليل ولكل عنده مقدار ـ ولقد خالط من طبقات الناس أكثرها وقاسى من طوارىء الحدثان أمرها ـ واهتم للحياة وسخر منها وبالغ فى الحرص عليها وفرط فيها ـ وعرف

السرور والحزن طريقيهما إلى فؤاده ـ ونازل الدَّهرَ فغلبه وخسر المعركة وهو جامع إلى هذا حكمة الشيوخ وأمل الشباب ـ تراه رجعياً وهو عصرى ـ فأما رجعيته فهى الغشاء الذى أكسبه إياه معرفة ما كان من خير فقدناه بذهاب زمنه حيث كان الإخوان والأصدقاء على غير ماتعرف اليوم من الوفاء والإخلاص فى الإخاء والصداقة ـ وأما عصريته فهى خلاصة الممارسة ونتيجة التجربة وسنة التطور والمجاراة .

فهو إذن من هذه الناحية قادر على فهم الخيام ـ وله مشاركة معه فى كثير من وجوه الحياة وغير قليل من النظر فى ملذاتها ـ فأما من ناحية أداء هذه المعانى التى فهمها فإنه من صناعة الزجل بحيث لا يضارعه مضارع ولا يستوى معه فى طبقة يرتفع إليها سواه فهو شيخ الزجل بلا منازع ـ والبقية الباقية من الصدر الذى ارتفع أفراده بهذا الفن إلى الذروة فجعلوا منه فنا وكان صناعة لا حياة فيها ـ ولو أنى ذهبت أضرب الأمثال على اقتداره وجئت من كل معنى بالقليل لما وسع ذلك سفر كامل ولا دفاتر معدودة ويكفى فى هذا الباب أن ليس من أقرانه الآن أحد وليس من زاجل فى العربية إلا مقر له بالفضل ملق إليه عصا السبق معترف له بالزعامة .

وقد عرفت من مطالعة رباعياته الزجلية كثيرا من نقائص الترجمة الشعرية ، فما كان الخيام رجلا مضطرب العقل يورد القضايا ثم يدعها مرسلة بلا نتيجة وإلا لما استحق ذلك التكريم ولما عاش ذكره تلك القرون الطوال ـ والذين قرأوا الترجمات الشعرية لرباعيات الخيام يرون أنه

أثار قضايا كثيرة ليس لها جواب فى الرباعيات ـ كسر الوجود ومسائل البعث والنشور التى أطال فيها الحديث دون أن يدلى فيها برأى.

ولكن مظلوما لم يفعل كما فعل أولئك الشعراء فهو قد فهم الخيام تمام الفهم فكأنما عاش فى زمانه وعاشره ـ ولابس ظروفه ولذلك لم يدع هذه القضايا مطلقة بلا نتائج ، وإنما اقتحم المعانى التى أحجم الشعراء عن إيرادها مخافة الانزلاق فكان بذلك حقيقا بالتقدير والإعجاب ـ جديرا بالتنويه والإكبار .

يقول مظلوم على لسان الخيام .

دنيا فانيه إسمها دار الرحيـــل للضيوف اللى احنا منهم والنزيل
بعد ماغابوا الملوك حاوز دليل ؟ والأسد فى حكمها زى الغزال

فى انتظار الداعى إن مولاه أمر

وليس بعد هذا التعبير توضيح للمعنى الذى أراد الخيام تقريره وهو أن هـــذه الدنيا ليست دار إقامة وأن الناس فيها ليسوا إلا ضيوفاً إلى حين وأن الجميع خاضعون للقضاء لا امتياز لكبير على صغير ولا تفوق لقوىّ على ضعيف :

وفى هذا المعنى يقول أيضاً :

الكريم الشهم فى الناس والبخيل دَه وَدِه تحت التُّراب ميت نزيل
الحقير فى الموت هناك زى الجليل لا اعتزاز بالجاه ولا ممتاز بحال

من ربيعه تكون قبيلته أو مضر

وإذا نحن تركنا هـذا المعنى وانتقلنا إلى معنى آخر وهو الذى فات الجميع إدراكه وذلك حيث يقول :

خلّنى أهل العلم فى الدين والحوار فى جدالهم يقطعوا الليل والنهار
والنتيجه نخوض بحار من غير قرار بعدها الموت راح يجى يهدم آمال
فيه نهوض من بعد ما يُطوى الأثر ؟

وجدنا أن النظرة الأولى تترك فى نفس القارىء أثراً من الشك فى اعتقاد الخيام بالبعث والنشور ـ لأنه هنا إنما يتعجب من النهضة بعد انطواء الأثر الظاهر ولكن أيضاً؟ هذه النقطة واردة فى قوله :

قمت للكاس أسأله فى علتى لما تاه منى صوابى وفكرتى
قال لى بدل سكرتك من سكرتى اطرح الأفكار وخدمنى بدال
قبل ماتعود بعد أيامك خبر

كاس قديم العهد عاش منذ الأزل أصله من طينة جميل يهوى الغزل
لما اقبّل شفّته يرد القبل أشتكى له يشتكى بأفصح مقال
كان حبيب عاشق وله قلب انفطر

واضح إذن من هذا القول أنه يعتقد أن هذه الجسوم إنما هى غلاف ظاهرى لا يعول على صورته ولكنه لم ينكر البعث إطلاقا وليس فيما روى عنه إنكار صريح للبعث ـ والمعروف أن خلافا كبيراً واقع بين العلماء على هذه المسألة وهل يكون العذاب والنعيم للأرواح وحدها أو للأرواح والأجساد معاً ؟ وهناك اعتراضات وأقوال كثيرة ليس هنا محل الخوض فيها ولكن الثابت أن الخيام لم ينكر البعث إطلاقا وهذا المستفاد من ترجمة مظلوم للرباعيات فى لغة الزجل .

وهناك شيء آخر نحب أن نورده هنا للدلالة على أنه إنما كان يطرح عن نفسه أثقال البحث فى شيء عرف غايته فهو مؤمن وكفى ولا محل بعد ذلك لاشتغال ببحث . وذلك حيث يقول :

هو كل العمر أعوام مع شهور
نقطعه فى بحث ما بعد النشور
واكتشاف السر فى جوف البحور
مين يشوف خلف الستار والروايه فصول كتار
واحنا فى المسرح جميعنا ممثلين

بل إنه ليذهب إلى أبعد من هذا فى توضيح غايته من هذا البحث حتى لتراه يصرح بأنه ليس للمرء أن يشغل نفسه عما يسّر له بتقصى أشياء ومسائل لن يصل إلى غايتها وأنه إنما يحسن به أن يركن إلى القدر مشتغلا بنفسه عما سوف يأتى به الغيب فيقول :

القلوب دايماً تشوف مافى القلوب
فى العيون مفتاح دليل كشف الغيوب
نيتك مطيتك وقت الخطوب
اركب النيه وحاذر سخط علاّم السراير
والتوكل فيه نجاح المخلصين

وحيث يقول أيضاً :

والمقدر أصله فى اللوح بالقلم

نافـــذ الأحكام على كل الأمم

لو بحار الدنيا تصبح لك خدم

مش ح تمحى حرف واحد أو تغير رقم وارد

بالطبيب والمالو بالنوح و الأنين

لاريب أن قارىء الرباعيات فى زجل مظلوم يستطيع أن يتمشى مع الخيام فى خواطره وأفكاره خطوة بخطوة فى يسر وسهولة لايعتورهما تعقيد ولا تصعيب فهو سهل واضح متين العبارة بحم التركيب وهو بهذا إنما يقطع الألسن التى تتمشدق بأن لغة الزجل هى العامية الصرفه وأنه ليس للزاجل أن يعتمد على الألفاظ العربيه ولو كان الأمر كما يزعم أصحاب هذا الرأى لكانت هذه الرباعيات لاتساوى المداد الذى كتبت به ـ ولكن مظلوما جعل منها درة فى جبين الأدب الشعبي ونهجاً رفيعاً لأدباء الشعب ينسجون على منواله إن استطاعوا . . . وهيهات . . .

أقول هذا وأنا واثق تمام الوثوق أن مظلوماً لم يقصد شيئاً مما ذهبت إليه على الرغم من أنه حقيقة واضحة ، وإنما الذى لاشك فيه أن هناك توافقا بين الطبيعتين لدى المنشىء والناقل حمل الأخير على أن يصوغ هذه الرباعيات فى لغة الشعب الدارجه وهو يشعر أنه يعبر عن خواطره الخاصة ويترجم عن إحساساته وشعوره وينقل صورة صادقة لأخيلته ومذاهبه فى الحياة .

والدليل على ذلك أن هناك من المعانى مالو لم يرد فى الرباعيات

وقرىء زجلا لما كان إلا لمظلوم لتناسبه وأفكاره ومشاربه وتمشيه مع مذهبه فى صناعة الزجل واحتفاله بما يضمنه إياه من المعانى وذلك مثال قوله :

الجمال منطق فصيح مع كونه ساكت
زى عاشق صان غرامه دموعه باحت
والاّ زى المسك مستور ريحته فاحت

هو مهجة كل مهجه للنظر والنفس بهجه
مصدر الإيمان ودين فى كل دين

والذين يعرفون مظلوما كما أعرفه ولم يكونوا قرأوا رباعيات الخيام لايمكن أن يصدقوا نسبة هذا المعنى إلا اليه فإنه يكاد ينطق بأن قائله هو مظلوم لاسواه .

وإنى لأكاد أشعر بأن هذا المعنى لا وجود له فى الرباعيات كما يقدمه هو فى ترجمته الزجليه لفرط ما أضفى عليه من روحه القويه واتجاهه المأثور فى الإحساس بالجمال ونسبة الإيمان الى قوة الشعور به .

وبعد . . فلقد عرفت مظلوما وبلوته فى جميع حالاته وقرأت له وأحببت صناعة الزجل من أجله وإنى لأجدنى كل يوم أشد حباً لهذا مما سبقه كلما قرأت له شيئاً جديدا : وإنى لأشعر أنه إنما يقتطع أزجاله من ذات نفسه ، ويقدم مقطوعاتها من حبة فؤاده لعظم ماتتمثل شخصيته فى نظمه حتى لتكاد تسمع قطعة له من سواه فتنسبها إليه دون أن تعرف بالرواية أنها له .

كنت أعرف أنه أقدر أهل زمانه على ابتداع المعانى وصياغتها زجلا لا يتسامى إلى مرتبته زاجل من أهل العصر ولكنى أعرف أيضا أن للطاقة حدوداً ، وللمقدرة الذاتية حدودا ، ولم يكن يدخل فى حسابى أن زاجلا مهما يؤت من القدرة والطبع : بل ومن العبقرية مايحمله على الطمع فى نسج هذه الرباعيات زجلا . .

لم أكن أعتقد أن هذا قد يقع، ولو قيل لى ماصدقته ، ولكن مظلوما جعل من هذه الخرافة الحلوة حقيقة ملموسة ، فانقطع عنى أياما ثم عاد وفى يده كراسة فيها النشيد الأول : فتلوته فكدت أطير إعجابا وطربا ، وأحسست حينذاك بما لله تعالى من فضل على العباد ، وبما يمكن أن يهبهم إياه من روحه ، ويسبغه عليهم من جمال الفن ، ويمنحهم من القدرة على تذوقه والإحساس به — وما تركته بعد ذلك حتى عرفت أنه سيتم الرباعيات .

وها هى ذى الرباعيات قد تمت زجلا قويا رائعا بسيطا : تألقه الخاصة ، وتعجب به العامة — وقد فزت بأن تكون لى حظوة تقديمها ، وهأنذا أقدمها وأنا أتضاءل خجلا من فرط شعورى بالتقصير فى تقديم الرباعيات وتقديم مترجمها إلى لغة الأدب الشعبى وهو صديق حسين مظلوم ، الذى أرجو أن تحظى المكتبة العربية بكثير من أمثال هذه الرباعيات قوة وفنا ، بما أعلم أنه كتبه ولم ينشره وما أعرف أنه يستطيع صنعه ، فيكون آية الفن المصرى ، وحجة الأدب الشعبى ؟

مصطفى محمد الصباحى

رسالة الزجل

الأدب الشعبي هو لغة الوجدان والعاطفة ، بعيد عن التكليف والتعمل ، وأسلوبه على سهولته حافل بصنوف المناجاة فى شتى النواحى — شعر دخلت عليه لغة القوم المتداولة ، فهو الأدب المتواضع ، وليس كما يعتقد بعض قصيرى النظر من أنه شعر فكهى يقف عند نظم الفكاهات ونحوها — ولا أدل على هذا أكثر من أدائه لمثل هذا الشعر الفلسفى فى هذه الرسالة الموجزة للفيلسوف العالمى — عمر الخيام — وقد تناولت رباعياته أقلام جهابذة بلغات متباينة ، وأزجى بنا إلى هذا تقديرنا للرباعيات الخالدة وما حوت من طرائف ممتعة ومآثر رائعة ، والإخلاص للزجل المحبب إلى النفوس والأذهان ، إذا ما سمت أرواح قائليه . جعلنى هذا أنحو نحو أولئك السادة من السابقين ، فأخرج الرباعيات فى لغة الأدب الشعبي وهو سلوك ربما يراه البعض غير مألوف ، والناس أعداء ماجهلوا ؛ إذ يسوءنا ويسوء رجال العروبة والمجتمع أن يروا الانحلال الشائن والتردى المقيت الذى صار إليه بعض المشتغلين بهذا الفن الرقيق ؛ حتى لم نعد نسمع إلا أغانى رخيصة ، ومواويل مبتذلة ، ومنلوجات سقيمة الوضع ، وشر الأدواء ماقلب فيه الأمر وحيد عن الجادة والصواب ، فليس الأدب الشعبي مانرى ونسمع ممن لا يفقهون الأوليات ولا يفهمون من أمور الحياة شيئاً ، وهم يتعلقون بالألقاب والمظاهر ، وقد هجروا صناعاتهم التى

يتعيشون منها ليقولوا كلاما ماعرفه الأدب ولا يمت للزجل أو الشعر بسبب. . وما جروا فى هذا السبيل ، وزجوا بأنفسهم فى هذا المضمار بين الطبقات النائية عنهم لبعد البون وسعة الشقة بين الجهالة واليقين إلا طمعاً فيما ليسوا أهلا له من مظهر أو لقب : ثم إذا ود أحدهم مغنما أو شهرة سولت له نفسه تسويد مطلق وريقات يضع عليها اسم مؤلف أو ديوان ثم يملى عليه غروره إرغام من عرفهم من المشتغلين بالكتابة فى أية ناحية على استكتابهم تقاريظ تروقه هو يحدد نقطها ويمليها عليهم . فإذا أبت نفس الكاتب وكرامته أن يساق لتزكية الجهل وإقرار الزلل جوزى بالتهديد والتجريح وحوك المكائد والدسائس ، ومن أولاء من تقدم إلى بمثل هذا الطلب فرفضت ، وكان من تهديده لى أنه لن يرثينى إذا مت : فكان هذا عندى من أطرف ألوان الإغراء على التشبث بالرفض .

ونسوق هذا القول تدليلا على تطور الأيام لإظهار الفارق بين الأمس واليوم فقد كان للزجل أعلام خالدون نذكر منهم أصحاب الفضيلة والسعادة والعزه الأساتذه الفحام والنديم والنجار من علماء الدين ـ ومحمد صدقى باشا . وحفنى ناصف بك . ومصطفى نجيب بك. أعلام الأدب العربى وإمام العبد وخليل نظير وهؤلاء جميعاً من صفوة الكتاب والشعراء الذين فازوا بأوفر قسط ثقافى بالأزهر والمعاهد العاليه والحياة ـ ولقد كان الواحد منهم إذا أفعم ذهنه بمعضلات المسائل وجد فى الزجل خير سلوان مرفه عن نفسه وهو بلا شك يؤدى رسالته للمجتمع على أكمل وجه وفى أروع صورة نثراً وشعراً

وزجلا كما يملك الرد على نقاده ومعارضيه بالحجة الدامغة والبرهان القويم وإنه ليقبل النقد والتصحيح بصـــدر رحب دلالة على قوته الروحية وتتبعه للمثل العليا إذ لايرهب النقد إلا الضعيف الواهن يرجف للاشيء ويتخوف من أتفه الأشياء وأجمل ماذكره تقديرهم مواقف وكفاية مناظريهم شأن من ينشد الحقيقة والصالح العام .

ونحن الآن فى عصر ارتقت فيه النهضـــة القلميه من التحرير والتصنيف والشعر والزجـل إلى الغاية التى كنا ننشدها على أن الحالة على عكس ماكانت عليه لتبدل الأغراض وتطور الأفكار وتباين الأجواء فأضحينا لانرى الخـلاف إلا مكابرة وعناداً حباً فى الشهرة فحسب ولو أن المقصد هو التعبير عن أى معنى من المعانى بأى لغـة لـكان هذا أخلد التقدير وأسمى المكانة ولأمكن لكل منا أن يحتفظ لغيره بمنزلته ومجهوده بقدر معلوماته واستعداده لأداء رسالته على الصورة التى وفق إليها فيكون النهوض واطراد التقدم ـ ولكنا نلمس خلافات قائمة بين كل هيئة كاتبة تمت للتحرير بآصرة بحيث يصل الخلاف إلى حد الاستهجان والاستخفاف مما لاداعى للإفاضة فيه وإنما نعنى فى هذه العجالة بما أصاب ناحيتنا وما وضع دون نهضتها من العقبات والشوائك لأن فن الزجل اليوم وهو يؤدى رسالة الأغانى وما دونها من لغة المنلوجات والروايات الشعبيه فى التمثيل الفـكهى ومسارحه فإن أغلب المشتغلين به الآن من العوام وأصحاب الحرف والعمال لم يتزودوا من الثقافة بشيء ماعدا أشخاص لايزيدون على عدد أصابع اليد الواحده وأولاء الأخيرون ينفرون كل النفور من الفريق الأول

أما طبقة الكتاب والشعراء فهم يعملون لاضعاف هذا الفن لاحتراف العمال إياه ويبرّرُون محاربتهم له بمزاعم كثيرة كقول بعضهم إنه عقبة فى سبيل لغة الضاد الواجب تعويد الأحداث على إجادة فهمها وسعة دراستها واستذكارها ـ وآخر يقول بأنه يجب توحيد لغة الكتابة والكلام لئلا يتشعب الطريق أمام المبتدئين فيوهن قواهم العقلية لتشتت أذهانهم واستحسانهم هذا الفن تفاديا من التكلف فى الصفحى من دراسة وغيرها زمناً ربما يعقبها نسيان تام لانصرافه للشعر الملحون الذى لا يتقيد بالقواعد والضوابط وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وبهذا يعزّزُونَ حُجتهم بضرورة قصر الأغانى والتمثيل والأناشيد على الفصحى ليعتاد الشعب الكلام والتحدث بالفصحى دفعة واحدة وهذا جميل جداً وأمل ليته يتحقق وهيهات .

على أن أصحاب هذا الرأى أنفسهم يتحدّثون بنفس أسلوب الأدب الشعبى وإن كانوا من أعضاء المجمع اللغوى المشرف على اللغة وواضع مستحدثاتها ونحن مازلنا نرجو جميعاً تحقيق هذا الحلم اللذيذ حينما نرى كافة طبقات الشعب حريصة على قوميتها من الفلاح الصغير إلى الوزير الكبير يتفاهمون بلسان واحد عربى فصيح وليس أحب إلى نفوسنا من لغة القرآن الكريم ويكون حينئذ ـ رِزْقنا على الله :

إنه خيال جميل وهو أشبه بقول الخيام فى هذه الرباعيات .

لهف قلبى ياترى يعود الشباب والزمان اللى مضى
مع أحبانا اللى غابوا فى التراب والا كان حلم انقضى
ولن يعود الشباب ولا أحباؤه ولكن هى ياترى وكنى

على أنى أقرر هنا والواقع الملموس يؤيدنى فى هذا الرأى أن الزجل لايمكن أن يتضاءل أمام هذه الحرب المضطربه لخفة أسلوبه ورشاقة تعبيره فى ألفاظه واجتماع الشعب حول أغانيه ونواحيها ثم هو لا يتعارض مع الفصحى مطلقا بل بالعكس هو الدعامة التى تقوم عليها والدرج الأول للمبتدئين وهذه وزارة العلم تتخير للأحداث مايسهل فهمه عليهم ثم تأخذ فى التدرج معهم فى مدارج الانتقال للنهاية لأن الأحداث لايفهمون فى أول التحاقهم بدور التعليم لغة أمثال مهيار الديلمى والمتنبى ولا لغة الجاحظ وابن المقفّع فى تلك الأساليب القوية الرصينه وذلك الأعجاز فتكليفهم بأخذ هذا الأسلوب فى البداية هو العنت والتعجيز ، بكل مافيهما من معنى وماكان لمطرب العوام فى الأحياء البلديه أن (يغنيهم يابو القوام السمكرى) إلالأنه لايفهم السمهرى وقد أعجب باللحن فغناه كما يفهمه ـ وسمعنا آخر من مطربى العوام أيضاً يغنيهم الموشحة القديمة المعروفه بهذا المسخ ـ (والذى أسكر من عرص اللمى) وما كان لهذه الطبقة أن تفهم — عرف اللمى .

وإعجاب أمراء البيان مثل المغفور لهما إسماعيل صبرى باشا وأحمد شوقى بك بالزجل جعلهما ينظمان سلسلة من الأغانى الشعبيه فيها أدق المعانى وهو اعتراف بمكانة هذا الفن بين كافة طبقات الشعب .

على أن هناك أسباباً أخر؛ إذ نرى أن الخلاف قائم بين المشتغلين بالزجل أنفسهم بمن هم فى كل ناحية وبكل جمعية أو صحيفة ومسرح ، وعند المطربين والمطربات يستعطفونهم بشتى الشفعاء والوسطاء للنشر

وإذاعة مايمطرونهم به فى كل آن مما نقرأ ونسمع ، وكل منهم يخدع نفسه ، ويظن أنه قد بلغ نهاية الكمال ؛ بحيث يرغم السامع على الاعتراف له ويطرى نفسه بالأولوية والتفوق على غيره ، وإن كان لم يتخط الدور الأول للمبتدئ ، وأغلبهم يحلق خياله فى دائرة محدودة وأفق ضيق ؛ فتشاهد صوراً متقاربة لكثير منهم مزدوجة بالنقص والتشويه لما جبلوا عليه من غرور وقصور نظر ؛ فيضع النكتة فى غير مقامها ويتخير وزناً وقافية تتعارضان وموضوعه الذى يفاخر به ، وتتنافيان والذوق السليم ، ومن سقم الذوق وفساد الاختيار أن يدخل كلمات عامية ؛ ثقيلة على السمع ؛ نابية عن الذهن ، بعيدة عن أداء الغرض المنشود ؛ فيخرج موضوعه مشوهاً مبتوراً ، لايصلح للهزل ولا للجد لبعده وخلوه من كل ميزات الخبرة والكياسة ، وبهذا تكون الجناية على الفن وأهله وعلى نفسه أيضاً .

فجنايته على الفن إذا بلغ الشهرة عن طريق هذا السخف ، فيقال : هذا هو الزاجل وهذا نهاية مايتطاول إليه الزجل ، وهو دائب المسعى وراء الشهرة يلح فى طلب التقاريظ والاعتراف له بالإجادة نثراً وشعراً وزجلا ، وتبلغ ببعضهم الصفاقة حد التهديد بالخصومة إذا لم يأخذ الصورة التى يمليها وهكذا ، وللجمهور حينئذ العذر فى أن يحكم على هذا الفن بما يراه ويسمعه مادام هذا شأن محترفيه فى نظر العلم والمجتمع — أما عن السرقات وسرعة النقل والمحاكاة والتكالب جريا وراء فكرة واحدة وتهافتاً على الشهرة ، فحدث ولاحرج ، بحيث ترى الواحد من هؤلاء ليس له فكرة خاصة من وحى خياله إطلاقا ؛ بل

يتعقب غيره فى أى موضوع يصل إليه عن طريق الصحف أوالرواية عنه وهنا يتجدد نشاطه وما أسرعه فى اختلاس الموضوع أو الفكرة يخرجها فى صورة مقلوبة ممسوخة مظلمة تنفق وكساد ذهنه وركود خياله وهو شر الجنايات على الفن والجمهور .

فأما جنايته على نفسه ففيما نلمسه من حالة أولئك العمال بعد انصرافهم عن مهنهم وما يبدو عليهم من سوء الحال وشظف العيش ولبعضهم مهن موروثة عن آبائهم وأسلافهم، وكانت تدر عليهم الرزق الحلال والعيش الرغيد ينعمون بالحياة الهادئة المطمئنة بين أوساطهم وذويهم ؛ فأنكروا نعمة بطروا بها ، وخرجوا لحياة رقيقة الحال ضعيفة الموارد ، وصرنا نسمع منهم أنين الثكالى ، وترداد النقمة على الحياة لما يعانونه من متاعب وآلام البؤس مما لايحس به المريض فى محنته ، والغريب فى غربته ، وقد هجر عمله وأوصد باب رزقه بيده حباً فى الزجل ، ومنهم : النجار ، والحلاق ، والطاهى ، والميكانيكى ، فقد كانوا يحيون حياة سعيدة كآبائهم يفيدون المجتمع ويستفيدون ، وهم اليوم عطلوا شبابهم ومواهبهم وصناعاتهم التى خلقوا لاستثمارها وغيروا مجرى حياتهم ، وضحوا بمستقبلهم بغية لقب الأستاذ ، بحيث يبغض كلمة الأسطى ، ولايغتفر لك أن تسأله عن عمله قبل أن يهيم بالزجل.فهو أشبه بمفتون النظارة يعجب بلمعانها وروعتها فيضعها حائلا قوياً بين عينين سليمتين يصادر قوتهما ويحجب ضوءهما ويتعرض لأخطار الطريق بسبب النظارة ثم لايدعها حتى تذهب ببصره ، ويظل يتظاهر بالعمى حتى يصبح حقيقة حيا فى المظهر الكاذب ، وأى مورد للزجل،

ومتى كان عملا يكفل مطالب الحياة على تشعب رغباتها وتعدد حاجاتها لكن الحرص كله على إحراز لقب الأستذة مهما كان غالى الثمن : فادح التكليف . ويبلغ به الغرور أن يظن نفسه جديراً بانتقاد الشعراء والعلماء والكتاب جديراً بإكبارهم وإجلالهم والإذعان لرأيه ، وعلة شقاء المخدوعين وسر تعاستهم هو الظهور بما لم يخلقوا له وهؤلاء من المنكوبين بعد أن فقدوا أرساطهم لاحتقارهم لها ولأهلها وجدوا سداً منيعا يحول بينهم وبين الطبقات المثقفة لاحتقار هؤلاء لهم أيضا لبعد الفارق ، وللفكرة الجديدة التى يضاعفها أصحاب الرأى فى محاربة فن الزجل للمزاعم التى أسلفنا ذكرها ، وإذن يكونون قد عطلوا دولاب العمل وفقدوا صناعاتهم وأوساطهم ومستقبلهم وكان هراؤهم مبررا لذم هذا الفن والعمل على محوه إذ تتضافر الصحف والإذاعة والاغانى على نشر وإذاعة هذا اللون المبتذل المتداول ، وهى فكرة كفيلة بتشويه هذا الفن وكفى .

أليس من أعجب العجب عند ما أثبت البحث الطبى أن سبب انتشار التيفوس هو إهمال آفة القمل فيعمد قلم نشر الدعوة الصحية للإرشاد وتحذير الجمهور من إهمالها عن طريق الزجل فنسمع من مكرفون سيارة الصحة مقطوعة لاأعرف ناظمها ولكن سمعتها مراراً وهى — فلفل وفلفلة والقملة القاتلة — اسمح لى أن اعترف لك أنى لا أفهم العلاقة بين الفلفل والفلفلة والقملة القاتلة وكيف أقر المشرفون على نشر الدعوة الصحية هذه المقطوعة وهم فى مقام التحذير والإرشاد اللهم إلا لأنهم يعتقدون أن الجمهور سخيف لهذا الحد

لا يفهم الإرشاد إلا بالسخف والاستهتار به أو يكون السبب الآخر هو سوء الاختيار أو التأثر بالوسطاء وأرباب الشفاعات وفى كل هذه الحالات لا أرى مبرراً للإعجاب بهذا الرص وهذه الغثاثة .

وفيما سلف أسست أندية متنوعة لتهذيب هذه الناحية وإصلاحها فأولانى إخوانى أساتذة هذا الفن شرف رئاستها ولكن ويا للأسف كان مصيرها الزوال بسبب اشتراك طبقة تعمل فى الخفاء لتفريق كل جمع وتقويض كل وفاق فلسنا فى عهد النقد والاعتراف بقيمته إنما نحن فى عهد المكابرة والعناد فأزعجتنى الخصومات الدائمة بين كل صديقين وما أقرب وأفحش الهجاء والطعن لأتفه الأشياء وكنت بينهم كناظر الوقف مطالب بحقوق المستحقين مكلف بتقاريظ ومقدمات لمجموعات من النوع الذى نوهت عنه وهنا ما يثير الضحك والدهش معا إذ رأى بعض هؤلاء السادة أن يؤسس ناديا لرهطه وأتباعه وراق له اسم (نادى حماة فن الزجل) الذى كان يجمعنا فجعله عنوانا لناديه الجديد فطالبته بتغيير هذا الاسم حتى لا يكون لبس أو اشتباه على أحد فمكث يبحث عن اسم جديد ويكد الذهن حتى اهتدى لاسم — عصبة الأمم — فكان من أثر إعجابه به أن أطلق على ناديه اسم — عصبة الزجل — وهذا الاختيار وحده كفيل باظهار مبلغ حصافته ونضوج تفكيره .

ولقد سئمت هذه الأجواء فاعتذرت لزملائى عن قبول رئاسة النادى وأويت لناحية نائية عن الأندية والمجتمعات واشتغلت بنظم سيرة إمام الشهداء سيدى أبى عبد الله الحسين بن على رضى الله عنهما على ما فيها من تشعب السبل ومتنوع الروايات فى أكثر المراجع

وعاونني فى هذا البحث الجليل صديق الوفى الأستاذ عبد العظيم طاهر الشهابى ولما أتممتها أخذت فى دراسة رباعيات الفيلسوف الفارسى عمر الخيام فى نسخ شتى وطبعات متعددة عدا نسخة عن الإنجليزية وراجعت تراجم الصراف والبستانى والسباعى ورامى وكلها تنم عن جلال الحسن وقوة الروعة والإبداع على أنى آثرت ترجمة السباعى والبستانى فقد رأيت من الفوارق والتباين الشاسع بين التراجم الحديثة ما أذهلنى وترجمة البستانى قريبة من السباعى لولا اختلاف فى الكلام جعل أول الأولى فى وسط الثانية أو آخرها لتطابقتا وهذا فحسب فارق فى الاختيار بين الترجمة والتبويب .

على أنى مهما أفضت الحديث لا أقول جديدا عن الخيام وقد وفى الأساتذة الأفاضل كامل كيلانى ورمزى نظيم ومصطفى الصباحى الكلام عنه فما تركوا مجالا لقائل أو مستزيد وغمرنى فيض كرمهم بالتحدث عنى على أن الخيام خالد معروف ليس بحاجة جديدة غير المتداول عنه من عشرات التراجم إنما أردت إخراج رباعياته فى ثوب أخضر جديد ، ولغة سهلة لم أنحدر بها إلى لغة العامة ، بل جعلتها وسطا بين الفصحى العالية والشعبية الدارجة ، واقتفيت أثر السباعى وسايرته فى أغلب ترجمته إثر الرجوع للبستانى عدا القليل منها ، وحرصت على النقل والمقابلة بقدر مايسع الجهد أداء للأمانة — وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

مظلوم

لمحة عن عمر الخيام

هو عمر بن ابراهيم الخيام الفيلسوف الشاعر الفلكى الفارسى كان إمام عصره فى الشعر والفلك والجبر والأخلاق — وكتبه تعد الطراز الأول فى كافة نواحيها وتقويمه فاق ما عداه قوة ودقة وإحكاما بين مؤلفى عصره الرياضيين .

وقد استدعاه السلطان ملكشاه ضمن من انتدبوا لتعديل التقويم السنوى فأظهر من الحذق والبراعة ما جعله موضع الإعجاب والإكبار وأعجب به المؤرخ الانجليزى الكبير جيبون — الذى يقول عن تقويمه — إنه يفوق التقويم الجريجورى نظاما ودقة — وما زال تقويمه معمولا به فى الفرس وغيرها وهو مرجع هام لدى كافة من يعنون بالعلوم الفلكية .

أما مؤلفاته فى علم الزيجة والأرواح ومصنفاته الطولى التاريخية خاصة فيما اتصل بالعصر السلجوقى الذى يبدأ سنة ١٠٧٩ م — فدليل على سعة أطلاعه وغزارة مادته وسوى هذا من العلوم والفنون له آيات بينات لو أنها بقيت ونجت من الإتلاف والنهب والإحراق لكانت خير أنموذج للباحثين المسترشدين .

أما شاعريته فإنى أتخيل الخيام روحا بلا جسم تتصل بالأرواح وتتغلغل فى القلوب حيوية شعور وقوة وجدان، وهذه المسائل والقضايا التى أثارها تصرف القارئ عن كل ما عداها وتشغله كل قضية بما فيها

كأنه يسائل نفسه بها ويطالبها بالإجابة عليها، وربما كانت هذه الرباعيات قبل أن ينال منها الإتلاف تتجاوز المئين، ونراها لدى البعض عشرات ، لدى سواهم تجاوز المائة أو الأربعمائة — ومع هذا الإقلال والإكثار، ومع ما ابتكره المترجمون فيها من تصرف نرى روح الخيام مهيمنة على الجميع بجلالها وبعيد أثرها في النفوس ، والأرواح الصافية التي تنشد الخلد والسمو ، وأجل من نقلها إلى اللغة الأوربية العلامة (فيتزجرالد) في نحو خمسمائة بيت ، وفي كل ناحية منها تتمثل الخيام عطوفا على الفقراء، شفيقا بالبائسين، تواقا للجمال، وفي تقدير الجمال أجل عبادة للخالق المبدع ، فمن يتصور هذا الإبداع ويهيم به إنما هو صادق الإيمان قوى العقيدة ، وينتقل من وصف الجمال فتراه يتكلم في البقاء وما يعقبه من فناء وصيرورة الأجسام إلى عظام متحللة ، إلى تراب يملأ الغبراء، فكأنا لا نسير إلا على أديم العباد مما يحفز النفوس لعرفان بارئها، والإحسان إلى عارفيها، والوفاء بالعهد وللذكريات التي تعد أخلد الآجال وأحسن ما يدكر ويدخر .

ولد عمر الخيام بمدينة نيسابور الزاهرة سنة ٤٣٣ هجريه — ١٠٤٠ ميلادية، فلما شب وانتهى دور الطفولة، وبدأ في تلقي العلم، انتظم في سلك تلامذة الإمام الموفق النيسابوري، الذي كان من صفوة العلماء، والمعتقد فيه أن من حضر عليه ظفر بكل ما تتوق إليه نفسه وتصبو لإدراكه، وهنا امتزجت حياته في كل أدوارها ، واتصلت سيرته بسيرة زميلين عظيمين في طلب العلم على الامام الجليل ، أحدهما نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان نجل طغرل بك التتري، الذي انتزع ملك فارس

من خليفة السلطان محمود الأكبر مؤسس الدولة السلجوقية .

وثانى الزميلين الحسن الصباح، وكان أبوه ناسكا ورعا، ولكن الحسن كان زنديقا مارقاً ـ واختلى الحسن يوما بعمر الخيام فقال له قد اتفق الناس قاطبة أن ليس من تلميذ يتخرج على الإمام الموفق إلا أصاب عزاً وإقبالا وثروة وجاهاً . فهب أن ذلك لم يتفق لنا نحن الثلاثة فإنه لابد أن يكون لواحد منا، فماذا يكون حظ الاثنين الخائبين على ذلك الظافر ؟ قال عمر اقترح ماتشاء إذا تم اجتماعنا وحضر نظام الملك ـ وكان نظام الملك معهما فى اليوم التالى ، فقال الحسن نتعاهد الآن على أنه من أصاب منا الثراء فعليه أن يقسمه فيما بيننا نحن الثلاثة على السواء، لا يؤثر نفسه بشىء دون أخويه. قالوا جميعاً ليكن ذلك. ثم تحالفوا و تعاهدوا. وقد مرت الأعوام على ذلك وكان من حظ نظام الملك أن تقلد منصب الوزارة فى سلطنة السلطان ألب أرسلان ثم عرف ذلك صاحباه فأتياه يطلبان إنجاز الوعد القديم ، وبر الوزير بوعده ـ وكان عمر غير طامع فى رتبة أو منصب فخاطب الوزير بقوله :

لست أبغى لديك أكثر من أن تدعنى أتفيأ طرفا من ظلال نعمتك الفيحاء ـ لأنشر ضياء العلم وأدعو لك بدوام العز والسؤدد وطول البقاء ـ فأجابه الوزير إلى طلبه، وأجرى عليه رزقا قدره ١٢٠٠ مثقال ذهب فى العام ، تصرف له من خزينة نيسابور .

والتمس الحسن بن الصباح منصبا فى السلطنة فسعى نظام الملك لدى السلطان فمنحه طلبته ولكن الحسن كره ذلك المنصب فغادره ودس نفسه فى بلاط أحد أمراء المشرق ، ثم أخذ يحيك المكائد

والدسائس بصور وألوان تعجز عنها الأبالسة ، يحاول بذلك إسقاط أميره واغتصاب الإمارة منه ، وظل فى نشر الفتنة إلى أن صار زعيم الطائفة المسماة (الإسماعيليه) فنى سنة ١٠٩٠ بعد الميلاد استولى على قلعة الموت الواقعة جنوبى بحر القزبين ومن ثم ذاع صيت ابن الصباح وعاد اسمه مبعث الرعب فى جميع أنحاء العالم الإسلامى حتى سموه - شيخ الجبال - وسميت فرقته (فرقة الحشاشين) نسبة إلى المخدر (الحشيش) الذى كان زعيمهم الحسن يغريهم به ليستولى على عقولهم بتخدير أعصابهم، فيسوقهم لأغراضه الخطرة، ومقاصده المرهوبة، حتى كان من بين ضحايا فتنه ودسائسه العديدة الوزير نظام الملك نفسه صديق حداثته وزميل تلمذته .

أما عمر الخيام فقد عاش ومات بمدينة نيسابور فى طلب العلم على اختلاف فنونه وأبوابه، ولا سيما علم الفلك الذى بلغ فيه الذروة والذؤابه ، وكانت وفاته عام ٥١٧ هجرية ١١٢٣ ميلادية .

زعم فريق من الناس أن عمر الخيام لم يقصد بالخمر - والساقى - والكأس - مما جاء فى رباعياته الخمر المعصورة المعروفة ، وإنما كان يرمز للذات الإلهية بألفاظ الخمر كعمر بن الفارض وحافظ الشيرازى وأهل الصوفية ، لكن المدون المثبوت فى سيرة الخيام ينفى هذا الرأى لأن ابن الفارض يقول :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

والخيام يقول :

إملأ من بنت العناقيد العنب واجعل الكاسات للأفراح سبب

واغسل الأحزان بها وعيش فى طرب لو تقول بكره يكون بكره المزال

تعمل ايه لو أمر مولانا صدر

ظاهر أنه يتعجل الفرصة قبل فواتها ، والفارق واضح بين كلامه وكلام ابن الفارض ، ويقول ابن الفارض أيضا :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندى بأوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

ويقول الخيام :

ابق من فضلك تقول لى نهاك

والنبى تبخل بنصحك وبهداك

الكرم فى الكرم والمولى عماك

عن مواردها الحكيمه صنعة القـــدره العظيمه

والعفاف والزهد حيلة العاجزين

واضح إذاً أن خمرة عمر الخيام لم تكن إلا عصير العنب المتهدل من كرومه يعصر سائلا محسوساً مرشوفا من أقداح البلور وقوارير الفضة، يحسوها مع الندمان فى مجالس الشراب ، وفى خلوته ، يدلك على ذلك كلامه فى وضوح وجلاء .

وكان النظامى أحد تلاميذه ، فروى هذه النبذة قال — كنت كثير التحدث إلى أستاذى عمر الخيام فى بعض البساتين ؛ فحدثنى ذات يوم قال : سيكون قبرى إن شاءت الأقدار فى حيث تنثر يدالصبا والشمال على رفاتى جنى الورد والياسمين ، ففكرت حينذاك فيما قال لاعتقادى أنه لا يقول لغواً ولاعبثاً ، واتفق أنى غادرت نيسابور ، ثم عدت

إليها بعد وفاته فما راعنى إلا قبر الخيام بجوار بستان أغن ، يانع الجنى، دانى القطوف ، وقد مدت أغصانه ظلالهـــا فوق ذلك الضريح ، ونشرت ذوائبها تنثر عليه النور والزهر والورق النضر ، حتى أخفت آثاره وطمست معالمه .

هذه لمحة وجيزة عن حياة الخيام نوردها للدلالة على سعة اطلاعه ورسوخ قدمه فى علومه ، وحياته حافلة بالجهود القيمة ، والمؤلفات الكبيرة الخالدة لولا ضيق المقام لأوردنا الشيء الكثير منها ، ولذا نجتزيء بهذه الكلمة حتى يتسع الوقت ، وعلى الله قصد السبيل ؟

المجموعة الأولى

كتب تحت الطبع من ديوان

مظلوم

ليالى الصفا ـ أغانى

سيرة إمام الشهداء أبى عبد الله الحسين رضي الله عنه

اجتماعيات ـ فى شئون الحياة العامة

ابن عبد الحى ـ من الاحسان إلى الكفران روايه

نظرات فى الحياة ـ مقطوعات صغيرة

رياض البردة ـ فى مناقب بنى هاشم

فكاهات ـ نقدات ـ موالى

جميع مطبوعاتنا تطلب من مكتبة الطاهر اخوان ـ يافا

obeikandl.com

النشيد الأول
١٣٥٩هـ
١٩٤٠م

نبّه النايم على فرش الأمل
كام أمل في مضاجع تتسير الأجل
فوز بكاس الصفو: دي الأيام دول
والحياة يومين، سرور ومرار وارتحال
بعد كاس الأنس يوم كاس الكدر

غرّد الطاير بألحان الندى
في طلوع الشمس بالصوت الرخيم
إملا كاسك، واغتنم صافي النسيم
دي سنين العمر غايتها زوال
ما ارتفع طير في السما الا انحدر

إنهب اللذات، وديركاس الشراب
ذي السعاده في زهور عصر الشباب
بعد طي العمر يطوينا التراب
في محيط الأرض، في وادي التلال
في مجاهيل الحجاب المنتظر

نبّه الخمار نديم وقت الصباح
هات حياة الروح وقوم، دالفلاح
بعدها نودّع حبيب ينوي الرواح
انتهت أيامه والأيام اجال
والرحيل في حينه والداعي حضر

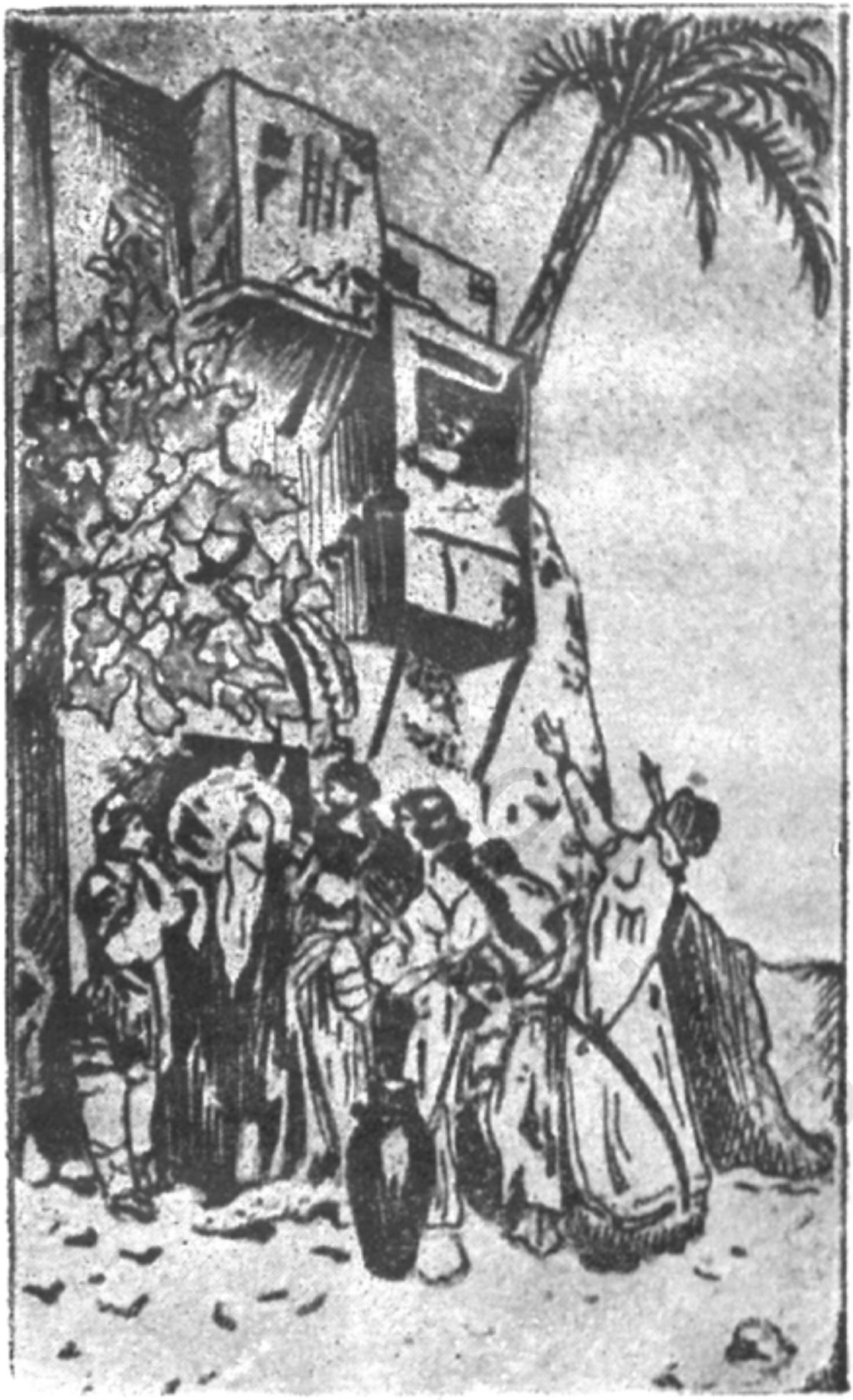

عاد لنا النيروز أمل كل النفوس
والبساتين ازدهت وبيّا الشموس
والزهور لبست وشاح زي العروس
فيها إيد موسى الكليم طهر وجلال
بيضا من غير سوء صفاء من غير كدر

هل سرت روح عيسى مع صبا النسيم
أحيت الأرض وبدا خيرها العميم
أخرجت موتاها من بعد الرميم
غرّد الطير في الوجود ألحان وجال
في الغصون صدّاح بلحنه المبتكر

أو مضت آثار إرم ذات العماد
وانتهت من بعد شداد بن عاد
وانكسار برق جمشيد لك مراد
في نباتين الكروم الخمر سال
من فواكه، فيها سلوى للبشر

أو يكون داود مضى في الغابرين
وانقضت ألحان زعيم المطربين
فيه بدالة شادي لحن العاشقين
مثل الروض يشبهه من غير جدال
كلام أستر مهجة باوكام ألباب سحر

صُب في الكاس ام كل المطربات
جنّة الدنيا وفردوس الحياة
وادفع الحزن الكمين قبل الممات
واستمع من وحيها السحر الحلال
من أناشيد الخلود معنى اختمر

غالب الدنيا لحين ما تغلبك
واشرب الكاس والتراب راح يشربك
إن خسرت الحظ دهرك يكسبك
خدين بين الأنس وفيه والشمال
في وجودك، قبل إنذار السفر

قوم بنا نسرق من الدنيا السرور
أحلى أوقات الصفا بين الزهور
والآفي وسط الجبال أو في البحور
نطلب الرحمة لملوك ماضيه ورجال
زي حاتم في الكرم جودها اشتهر

نختلي في ناحيه عن كل الأنام
لجل نبقى اتنين وقالتنا المدام
يا لله نتغني بألحان الغرام
ساعة من عيشل الصفا تحت الظلال
في الخلا في العزلة في ظل الشجر

رُوح بنا نِنْزِلْ ضيوف عند الطبيعه
بين زهور الروض وأشكالها البديعه
دِي حياتها من حياة الناس وديعه
بعد لحظه تكون لجانبها مَنَال
ورد من بعد الربيع مات وانتثر

خَلِّي عنَّك دنيا في حُكْم السَّراب
تخدَع المغرور بألوان الخضاب
تشتغل ليه بالّلي تخضع له الرقاب
أوْ تِفكَّر في اللّي له أملاك ومال
دي السعاده عمر في الزهد انحصر

طالب الدنيا جعل منها متاعه
واللى ضيّع فرصته استقبل وداعه
واللى طالب أختها خاف من ضيعله
واللّى تاه بين الحقيقه والمحال
واللى بين الأولى والتانيه نظر

كام عرايس فى البسايتين من زهور
كام ثغور للورد أشهى من الثغور
كام غصون فى الميل تغير منها الخصور
كام قوام ميّاس تخفّه واعتدال
فيه عيون للنّرجسه، كحل وحور

الكريم المشهم في الناس والبخيل
ذه ودة تحت التراب ما ريت تزيل
الحقير في الموت هناك زي الجليل
لا اعتزاز بالجاه، ولا ممتاز بحال
من رسيعه تكون قبيلة أو مصر

كلنا عايشين في بستان الأمل
بين رياحين الخيال يمكن لعل
ربما يا ربت عسى يحلى الغزل
للنجوم نشكي الحبيب ويا الهلال
في أماني الوجد في ليل السهر

الأمل معبود لكل المخلوقات
ابتسامة العيش ومرآة الحياة
إن صدق مرءيد ومرويّاك ساعات
كل حال من بعد لحظه تشوفه حال

يوم صفا، يوم حزن، يوم صيف، يوم مطر

دنيا فانيه، إسمها دار الرحيل
للضيوف اللي احنا منهم والنزيل
بعد ما غابوا الملوك عا يزد ليل
والأسد في حكمها زي الغزال

في انتظار الداعي إن مولاه امر

آدى بهرام صاد أسود من كل غاب
أصبحت تلعب على قبره الذئاب
يا ترى لو تسأله يرد الجواب
والملك جمشيد صبح قصره مجال
للسباع من بعد ألحان السمم

كام قصور كانت مطالع للكواكب
كل حاجب فيها، كان له ألف حاجب
عند أعتابها الأوامر والمواكب
بعدما كانت تحج لها الرجال
مأوى للطير الشريد فيها انتشر

عندنا للورد في البستان حنين
ليه؟ لأنه من خدود العاشقين
تحت أشجاره عرايس مدفونين
استعار من دمها سحر الجمال
من خدود بستانها بالورد ازدهر

وانظر الريحان في ميله والقوام
من قدود كانت لها فتنه وغرام
تبعت الأرواح ريحانها بالسلام
روّته من دمّها خفّه ودلال
جه رسول أدّى التحيه واعتذر

لو في يوم مررت في صحرة للدافن
فيها أشجار، أو جداول، أو جنائن
إو عي تلعب دي مساكن في مدائن
مجمع الأرواح شعوب تحت الرمال
عندها العبرة الصحيح للي اعتبر

كام نشيّع كل يوم راحل جديد
كام قريب بات في الحمى وأصبح بعيد
كام ميعاد له بدّ له بيوم الوعيد
كام حبيب في رحمة الله ذو الجلال
من وداعه غاب ولم يعت خبر

طالت الاعمار وعشنا بعدهم
في سرور فانبكى من طول بعدهم
مهما طال العهد فاكرين عهدهم
والمقيم لابد ما يشد الرحال
والقدر قدامه لم ينفع حذر

إملا من بنت العنا قيد العِنَب
واجعل الكاسات لأفراحك سبب
واغسل الأحزان بها وعيش في طرب
لو تقول بكره يكون بكره العِزال
تعمل ايه، لو أمر مولانا صدر

انتعش واشرب بکاس صفوك وبادر
قبل ما تشرب بکاس ع الکل دایر
کل أول بهجه بعدین یبقی آخر
والندم فی حین تفوت ساعة الوصال
والسرور فرصه وهیهات ان هجر

تخطب الثانیه واوّلها خطوب
والصفا تستبدِله بما فی الغیوب
کام ملوك فی الدنیا راحت فی حروب
طوحت، کام بعد عاد رمح وقنال
کسّرت بجان وکام کسری انکسر

كم مشايخ مع قسس حلوا الجتماع
بالخلافات في أساليب الدفاع
والبراهين أصبحت رهن الضياع
جدهم بان هزل وهداهم ضلال
لما خلى الموت أدلتهم هذر

خلى أهل العلم في الدين والحوار
في جدلهم يقطعوا الليل والنهار
والنتيجه نخوض بحار من غير قرار
بعدها الموت راح يجي بجيام آمال
فيه نهوض من بعد ما يطوى الأثر؟

كم وكم بتنا فجدل والليل يطول
في مدى الأفكار وحيرنا العقول
حتى عاد العالم الفاضل جهول
لما خفنا الميل ميزان العقل مال
نوع يقول واصل ونوع خاف الخطر

وانتهينا بعد ما طال البحث
عند نقطه واحده كانت قصدنا
ليه نجي في الكون ونرجع كلنا
زي ما جينا وقال واحد وقال
غيره إن البحث ضاع كله هدر

باب بغير مفتاح وكيف راح تدخله؟
واللي يفتح باب ضروري يقفله
لو سألت القبر فيما يعمله
أو سألت البرق والريح والجبال
عن وجودك تلتقيه سر استتر

مخلوقات، الكون أبوها وأمها
من تراب الأرض أولاد بطنها
بعد حين ضمت عيالها فحضنها
في حنان الأم ترجع للمآل
واللي كان فوق سطحها يبات في حفر

من نفسٍ خارجٍ من الصدر اندفع
جه نفسٌ لم يهتدي خاب وانقطع
والحياة نفسين ما دام زاد وارتفع
يبتدي في النقص من بعد الكمال
زي نقص البدر حين يكمل قمر

قمت للكاس أسأله في علتي
لما تاه مني صوابي وفكرتي
قال لي بدّل سكرتك من سكرتي
إطرح الأفكار وخذ مني بدال
قبل ما تعود بعد أيامك خبر

رباعيات ٢٠ الخيام

كاس قديم العهد عاش منذ الأزل
أصله من طينة جميل يهوى الغزل
لما اقبل شفته يرد القبل
أشتكى له يشتكى بأفصح مقال
كان حبيب عاشق وله قلب انفطر

رحت مرّه مصنع الفخار زياره
شفت عامل يصنع ابريق له مهاره
انكسر منه سمعته يقول خساره
والتقيت الطينه تستعطف خلال
صدمته وتقول له إرحم من صبر

ليه بني آدم بنا مستهترين
هم نسيوا إنهم من ماء وطين
أصل واحد صنع رب العالمين
طينة الإنسان بقت إبريق مثال
صنع إيد إنسان بتصويره افتخر

يا نديم الكاس ويا ساقي الأحبه
إهدى من كاسك شويه لكل تربه
إنعش المحروم من الأحباب بحبه
روّي قبره بالكاسات من هجر طال
وارحمه بالذكرى في البعد افتكر

وان لقيت ورده وريحانه وفله
يشتكوا حر العطش افراد وجمله
جود عليهم ياندم الكاس بقله
دالكرم دين للكريم حسن الفعال
تلتقيه محفوظ اذا دهرك غدر

واحضن الغصن الرشيق ان امكنك
قبل ما أم البريه تحضنك
في النهايه إنت عارف مسكنك
زارع الأحلام يحصدها وبال
يا ما آمال في التراب تحت الحجر

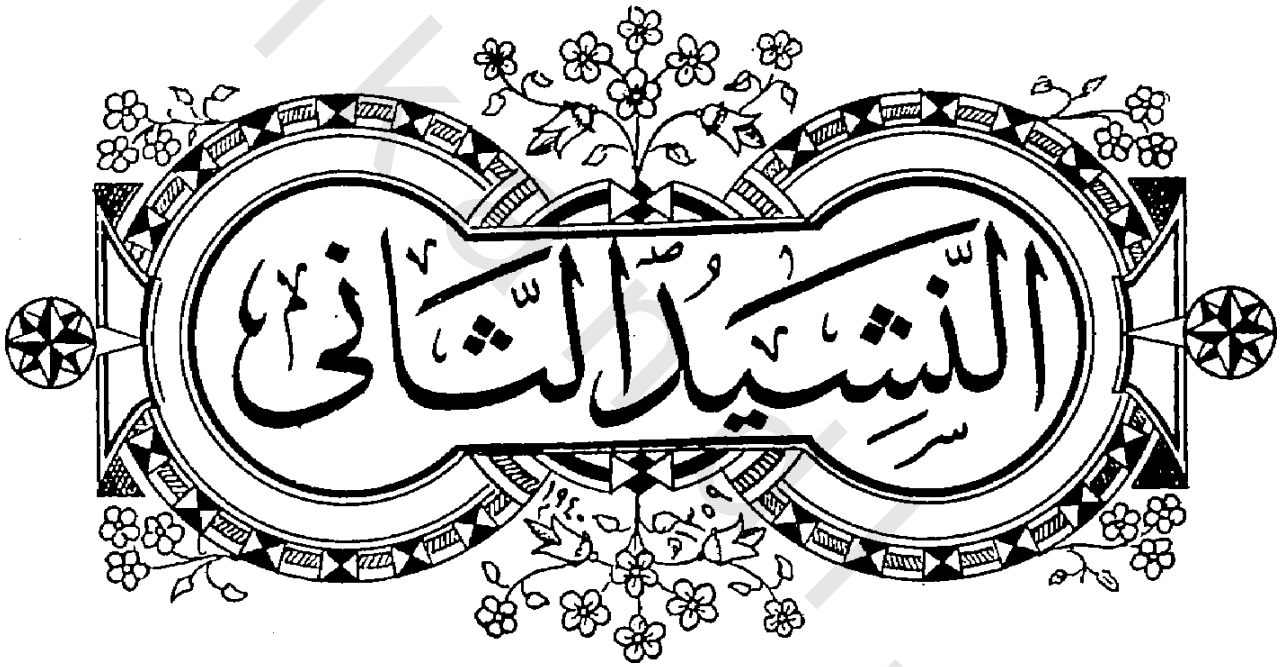

obeikandl.com

أحلى أيام الصفا في دور شبابك
تضحك الدنيا وتحلى لك شرابك
دي السعاده يوم وفي التاني ركابك
واللبيب من حكمته فاز بكاسه وتمجنه
قبل كاسه التاني في يوم اليقين

في اعتقادك ان يوم ما يقولوا مات
تحزن الدنيا وكل الكائنات
أو يكون اضراب لكل الأمهات
عن ولاده نوع جديد من هنا ليوم الوعيد
والبطون تاه في ولادها العدادين

بعد موتنا كام يجي جيل بعد جيل
لو تقول مليون قول ممكن قليل
يسكنوها وبعدها يشدّوا الرحيل
واللي مات من قبلهم لم يجي في فكرهم
والدّولاب شغال ما بين طفل وجنين

كل جيل فات في تاريخ الدنيا وارد
في كتاب الدهر للجيل سطر واحد
بعد تسجيل المساوي والمحامد
يتنهي ويصبح تراب يبقى سيره في كتاب
أو روايه بين أيادي المنصفين

قوم نناجي الدنيا في وقت السَّحَرْ
نِنْعش الأرواح ونستجلي الخبرْ
عن نجوم من قبلنا نور البشرْ
الشباب ويّا الكهول والحبيب ويّا العذول
جنب بعض المصلحين والمفسدينْ

إطرح الأحزان وخليك من اللّي راح
اللّي فات مات احنا في بكره الصّباح
كل يوم تمضي بغير لذّات وراح
يبقى ضاع من عمرنا فيه سرورنا وأنسنا
قول علينا بالحياة مستهترينْ

هو كل العمر أعوام مع شهور
نقطعه في بحث ما بعد النشور
والكشاف السر في جوف البحور
مين يشوف خلف الستار والرواية فصول كتار
واحنا في المسرح جميعنا ممثلين

فيه حقيقه بعد شئ سموه حقيقه
واحده تظهر وهم والتانيه غريقه
كام مظاهر سبك بالتكليف رقيقه
بعد تحقيق باتبان باطله غطاها الدهان
كام حقايق تحت أوهام مستورين

هي روح واحده في كل الموجودات
للقدير عمّت جميع المخلوقات
كل مخلوق حي له منها حياة
تنتهي مش للخلود للوجود بالوجود
والمحيمن حي رب العالمين

العقول محتاره في فهم الروايه
سر في علمه البدايه والنهايه
هو ينشرها ويطويها لغايه
كل دور عمّاله دايره ينتهي تروح بعد سيره
يخرج المسرح مناظر كل حين

صون حياتك من أساليب الجدال
من علوم البحث من قلنا وقال
كم فقيه يوريك هدايه من ضلال
كم محوت كانت عدم كم نصايح من نلام
والجمال والكاس هدى القلب الحزين

الجمال منطق فصيح مع كونه ساكت
زي عاشق صان غرامه دموعه باحت
والازي المسك مستور بجنه فاحت
هو مهجه كل مهجه للنظر والنفس بهجه
مصدر الايمان ودين في كل دين

أول الشهوه تكون فى النفس غايه
تبقى زى الضيف خفيف عند البدايه
تنقلب حاكم مسيطر فى النهايه
واحتلال فى النفس دايم فى الشعور والجسم حاكم
كام ضيوف باتوا وصبحوا مالكين

والحياة زهره فى بستان العدم
أصلها غرس الإراده فى القدم
لغز سموه الأجل سر القلم
نور جبين حلو الرضاب شعره كان فوقه حجاب
زى ما غطى الأجل نور الجبين

رباعيات ٣٠ الخيام

قوم وهنّيني في أفراحي السعيده
جوّزوني البكر بنت الحان رشيده
بعدها طلّقت أحلامي البعيده
في فرح بنت العنب ريقها من شهد وطرب
كام لحضن الكاس لنا وجد وحنين

مين عرف سرّ الوجود والّا العدم
في اللّي عايشين واللّي ماتوا من القدم
يحسبوا الروح عند تحديد الهمم
هي كوكب نوره ساير مستحيل تعرف له آخر
سر فوق إدراك عقول العارفين

طاف بنا في الليل مَلَكٌ قال السلام
قلنا مين؟ قال السعادة للأنام
قلنا هاتها قال خذوا كاس المدام
هو فيه غير سعادة قلنا طالبين الزيادة

حين لقيت في الراح حياة المنتجين

إرفع التكليف بها وحل اللسان
من قيود العقل وحدود الميزان
دي البراهين والحجج وحي البيان
بلسم الروح للعليل مهم القول والدليل
حجتك في كاس من السحر المبين

سيفٌ من البرهانِ وله وقتُ الهجومْ
انتصارٌ مشهودٌ على جيشِ الهمومْ
كَمْ هزمْ طايشٍ وكامٍ بدٍّ خصومْ
ذي سلاحٍ وقتَ الشدايدِ للمكافحِ والمجاهدْ
أو منادي الفتحِ والنصرِ الرهينْ

إبقَ من فضلكْ تقولْ للنهاكْ
والنبي تخلْ بنصحكْ وبهداكْ
الكرمْ في الكرمِ والمولى عماكْ
عن مواردها الحكيمه صنعة القدرة العظيمه
والعفافْ والزهدْ حيلة العاجزينْ

رحمة الرحمن تقع ما بين يديك
تبقى شايف نورها وتكذّب عنيك
إعترف بالحمد للمنعم عليك
نعمته نسيمها نقمه رحمته فوق كل رحمه

سلم الصاعد أو الحبل المتين

مين يقول لك تركها غاية الصواب
أفضل الإحسان في تخفيف العذاب
أو في حسن التعزيه عند المصاب
كل الأمر الإنسانيّه عبد خاضع دي القضيّه
والضمير الحي لك مخلص أمين

هوَّ غاية نصحهم اهجرْ شرابكْ
والتنطُّعْ والجمودْ منهاجْ كتابكْ
دَه ثوابكْ عند ما تنزلْ ترابكْ
تبقى تشربْ خمر طاهرْ كاس مرصّع بالجواهر
دِى الحياة فى رأيهم للمُهتدين

لَوْ فَرَضْنَا أن سكان النعيمْ
نوعْ من الجامِدْ يسمُّوه مستقيمْ
والصَّفا والمغنى والكاسْ فى الجحيمْ
تبقى جنَّه وفيها حسْرَه بالدقونْ اهل المكابرَه
فيه نعيمْ فى جِيرة المتنطّعين؟

في اللي ماتوا ولو بعث واحد خبر
يوصف الموت عند يومنا المنتظر
والا يرجع والا نعرف له أثر
في طريق كله ظلام فيها ممنوع الكلام
كنا نعرف إيه سبيل الوارِدين

الحياة تشبه سؤال والموت جوابه
والعجيب في الروح رضى بعيشتي في حجابه
دي مداها الكون بأرضه مع سحابه
في جسد من طين تدوم والجسد توب الهموم
مش عجيبة طهر في هالك دفين

إنظر الأجسام مشابهة للمساكن
مهبط الأرواح لساكن بعد ساكن
ان رحل واحد يعود جسمه ولكن
يبقى منزل ضيف ولبد حل فيه ساكن جديد
هكذا معدود لأرواح نازلين

في ظلام الغيب جعلت الروح منه
لانكشاف السر من جنه ونار
صرحت باللي اختفى بعد القرار
جنتك حسن العمل والسعير عند الزلل
في الحساب مقدار أجور العاملين

والغبى مطرود من الجنة الحبيبه
دى الحقيقه الأغبيا أرواح غريبه
بس قول لى هى جنه أو زريبه
ده نعيم الخلد دايم مش لأرواح البهايم
للذكا والمحسنين والنابغين

والقلوب ديما تشوف ما فى القلوب
فى العيون مفتاح دليل كشف الغيوب
نيتك مطيتك وقت الخطوب
اركب النيه وحاذر سخط علام السرايرْ
والتوكل فيه نجاح المخلصين

كلّنا أشباح خيال تحت الستاير
جوّا حفلة رقص فيها اللّعب داير
والمصابيح ازدهت فيها المناظر
تنتهى الحفله تعود ليل حسب طقس الوجود
والخيالات تختفى للنّاظرين

تحت فصلين مسرح الليل والنّهار
طلعوا أطفال الحياة شيّاب كبار
كلّهم نايمين بجى سيل من بحار
والتعيس وما السعيد يصحى للسّفر البعيد
يصبح المسرح جميعه راحلين

عاشوا كل الناس عبيد شهوه وعاده
كلهم أشباه بغير نقص وزياده
الأنوع ممتاز بشئ إسمه الإراده
ينزل التاريخ كتابه قبل ما ينزل ترابه
مات وحي وغيره أحياء ميتين

والإراده والهوى دايماً خصوم
زي ضدين أو نقيضين ع العموم
واحده موت التانيه تحيها تدوم
هم التنين في صراع تحت أسلحة الدفاع
واللي تحيا أختها في الهالكين

كل واحد منا له يوم منتظر
لا علاج ينفع ولا يمنع حذر
زي كوره لعبه في إيد القدر
هو يرميها لغايه تجري توصل للنهايه
تختفي عند الهدف في المختفين

والمقدر أصله في اللوح بالقلم
نافذ الأحكام على كل الأمم
لو حار الدنيا تصبح لك خدم
مشح تمحي حرف واحد أو تغير رقم وارد
بالطبيب والمال وبالنوح والأنين

إترك الباطل وصاحبه وذمّته
الطريق واحد بدايته وآخرته
ما نجا مخلوق بحزمه وفكرته
حبل واحد له بداية وبالطبيعة له نهايه
والمدى مجهول لكلّ السالكين

خيمه زرقا غطّت الكون والأنام
بين طقوس أضداد لها صحو وغمام
لا ارتفاعها في القلوب كل احترام
دي بأفلاكها مطيعه مع كواكبها البديعه
عاجزه مشلك عن رضا المستهترين

يوم بداية الخلق والصانع صنع
آخر الناس بعدها الزارع زرع
آخر الزرع البذور منها طلع
شئ ظهر زى الشريعه وشئ لبس ثوب الصنيعه
فى الأزل مقدور على المتأخرين

كل حادث أصله تمهيد السريره
السعاده والتعاسه فى البصيره
والكدر والصفو من نوع الخميره
والعجيبه طول كفاحنا ليه محيشنا وليه واحنا
والسبب إيه مبتدين أو منتهين

الجديد صوره عن الماضي ورسول
والفروع تطلع مشابهة للأصول
كل حال لذة وألم طبعا تحول
كلها أفلاك تدور حزن ساعة مع سرور
للشمال لحظ ولحظ لليمين

دي إرادة وأمر مولانا مضى
سخر الأفلاك بها تملا الفضا
والبروج اشكال معدات القضا
كل برج وله مدار ساري في الليل والنهار
مع سهام تخرج سريعة من كمين

فى الأزل من طينة الكرم ارتويت
لما نشوتها سقت روحى انتشيت
قبل ما تكون فى الوجود صورتى بديت
أبقى معها فى اتصال عندها عرف الجمال
قبل ندمان الوجود الأولين

ايه يفيد اللوم وعذالى فى ضلاله
وانت عارف عذل أصحاب الجهاله
يجعلوا التسبيح مفاتيح للقواله
يفتحوا الباب العسير فى أمل ما لوش نظير
أى مفتاح يفتح الحصن الحصين

حانه يظهر فيها نور الحسن كامل
في سناها الحق له فيها دلايل
نار ونور فيها وفيها الصفو واصل
عندها عصيان وطاعه هي مصباح الجماعه
زي منهاج الوصول للمتقين

يبقى من كثر العطش غاب عن صوابه
بحر قلامه ونانس تمنع شرابه
إن شرب مذنب يكون واجب عقابه
والمقدمه منه مهرب واذ وقع فيه يبقى أذنب
مش عجيبه ذنب مكتوب ع الجبين

إحنا واقفين والفلك بالسر عه دايرْ
عند تقديرنا القدر ضاحك وساخرْ
حتى في النوم دهرنا صاحي وساهرْ
لو فرضنا العين بصيره نعمل ايه والإيد قصيره
واللي طايعين للمقدر مسرفين

هي اصل الدنيا معشوقه جميلهْ
والنفوس مخلوقه من طينة الرذيلهْ
والجمال سر الهوى ودنيا خليلهْ
تفتن الضدين سوى نفس طامعه في هوى
إن نهاها العقل راح في المهزومين

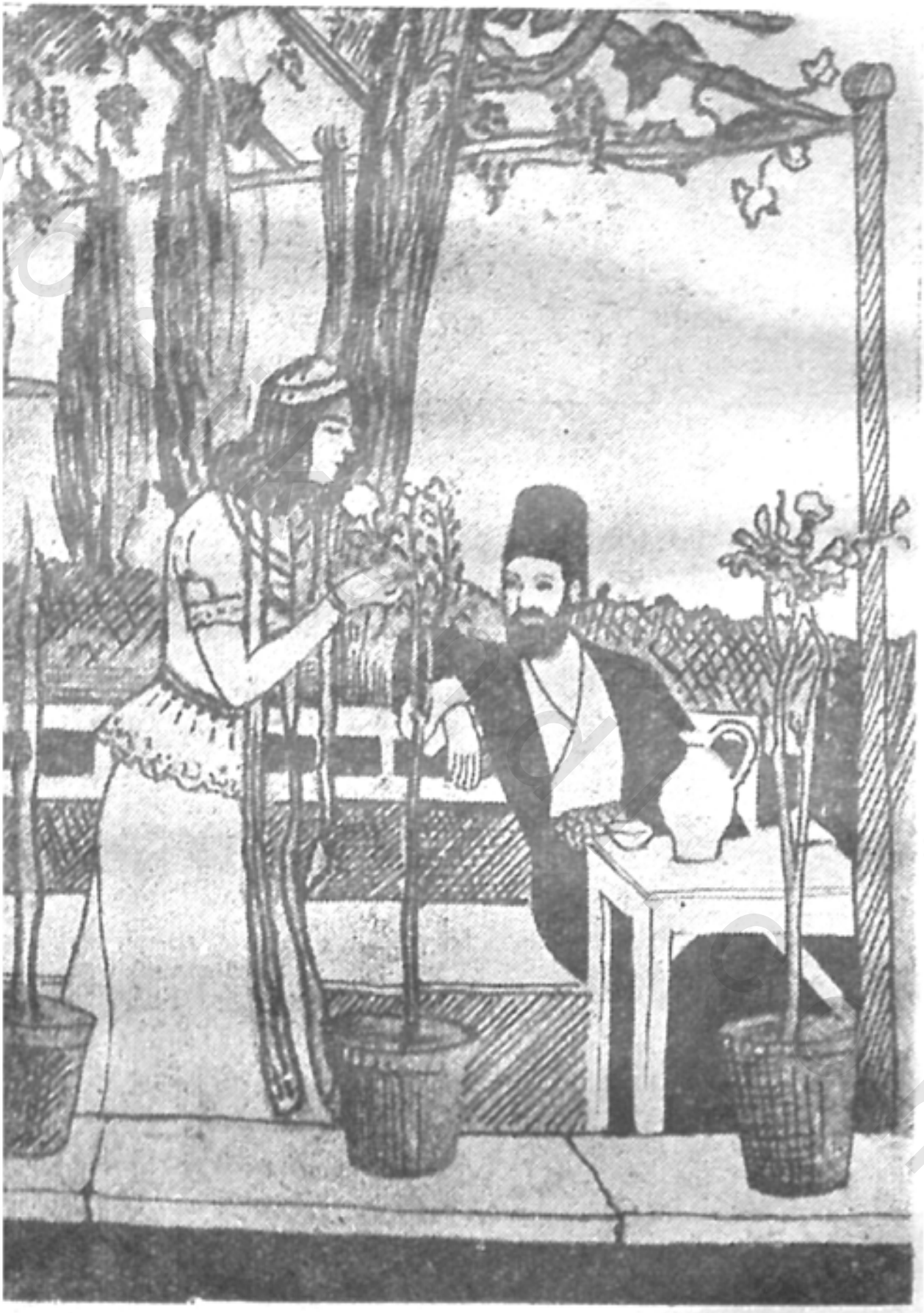

يا إلهي يا هداية كل سالك
يا إلهي يا منجّي من المهالك
يا مهيمن أنت مالك كل مالك
تشفي امراض العليل ترحم العبد الذليل
تقبل التايب وعفوك له ضمين

إنت يا مولاي علام الغيوب
إنت يا مولاي غفار الذنوب
إنت يا مولاي فرّاج الكروب
والضعيف مالوش ارادة انت تهديه للسعادة
ورحمتك تقبل جميع المذنبين

شيث عليه السلام
النبي شيث

حين مضى رمضان وجه بعد الصيام

عيد على الدنيا سعيد

قلت اسلي النفس من ذكرى الغرام

وافتكر عهدي البعيد

بعدها فكرت في حال الأنام

قصدي عبره من جديد

كام مواعظ تحت استار الظلام

فيها انوار الهداية في الغياهب

التقيت معمل دخلته

قلت للصانع سلام رد التحيه

فيه ماعون صوته سمعته

كلم الثاني برموز أسرار خفيه

بعد طول ظني افتكرته

من خيال الفكر وحي الشاعريه

جه في سمعي بعض شيء منه فهمته

زي رمز الحب عين كلمها حاجب

مشْ عجِيبه الصّانِع الماهِر نَعْنِي

منْ ترَابْ فِي دِي المِثَالْ

بَعْدَهَا صَوّرْنِي فِي قَالِبْ جَعَلْنِي

تُحْفَه فِي غَايَةِ الجَمَالْ

بعدِ تكوِينِي وإبْدَاعِي عَدَمْنِي

كَانْ نَصِيبِي لِلزّوَالْ

لِيه بنَانِي يَا تَرَى وبَعْدِين هَدَمْنِي

عَفْوَكْ اللّهُمّ فِي صُنْعَكْ عَجَايِبْ

لِيهْ تَرَكْنِي لِطِفْلٍ قَاصِرْ
لَمَّا خَلَّانِي بَقِيتْ لِعْبَهْ فِي إِيدُهْ
مُسْتَبِدْ الصُّحْبَهْ غَادِرْ
كَامْ سَقِيتُهْ الشَّهْدِ حِينْ يِطْلُبْ أَزِيدُهْ
وِاللِّي كَانْ صَوَّرْنِي مَاهِرْ
مِنْ هَوَى أَوْ شَهْوَهْ حِيتْ مِنْ نُوعْ عَبِيدُهْ
حِكْمَةْ المُبْدِعْ دَقِيقْ الصُّنْعْ قَادِرْ
لَهْ فِي أَفْعَالُهْ حِكَمْ مِنْ غَيْرْ مُحَاسِبْ

طال سكوت الكل قام ماعون خطيب

مضطرب أعوج مهين

قال ظلمني اللي رأى شكلي المعيب

يضحك الباكي الحزين

واللي صورني على النوع العجيب

دي إرادته وده أمين

قالوا شوهني ودي قسمه ونصيب

والإراده سهمها في الخلق صايب

قَامْ هنَاكْ ماعُونْ بنَادِى

م العَطَشْ شَاكِى لإخْوَانه عِلِيلْ

فى بُكَاهْ بِيقُولْ فُؤَادِى

إطْفُوا نِيرَانه بِكَاسْ من سَلْسَبِيلْ

فى سَبِيلْ الرَّاحْ مُرَادِى

فى هَوَى المَحْبُوبْ وفى حُبّ الجَمِيلْ

فى ضَلَا لُهَا وسْطِ نُدْمَانْهَا رَشَادِى

وعَنْدِ سَاحِتْهَا الهَوَى مَخْطُوبْ وخَاطِبْ

المواعين كلها في دي الجدال

واحنا واقفين في عجب

وارتفع فوق الجميع ضوء الهلال

وانجلى بالنور سبب

مالت الأغصان معاها الكمال

من أناشيد الطرب

زفوا بشرى الأنس مع بنت الخيال

نورت شمس السعادة كل جانب

رَوِّ نَفْسِي فِي حَيَاتِي

وَانْعِشِ المُهْجَةَ بِكَأْسٍ تُطْفِي شَجْوِنِي

حَتَّى فِي سَاعَةِ مَمَاتِي

مِنْ دِنَانٍ بِنْتِ العَنَاقِيدِ غَسِّلُونِي

تَحْتَ أَشْجَارِهَا رُفَاتِي

إِدْفِنُوهَا وَمِنْ وَرَقِهَا كَفِّنُونِي

سَجِّلُوهَا وَعَهْدَهَا فِي ذِكْرَيَاتِي

وَاشْرَبُوا فِي مَحَبَّتِي كَأْسَ الحَبَايِبْ

رُبَّمَا تَصْبَحُ رُفَاتِي بَعْدَ حِينْ

فَخْ فِي مَعْمَلِ خُمُورْ

قَبْرِي يُصْبَحُ مَصْيَدَهْ لِلْمَخْدُوعِينْ

مِنْ صَعَالِيكِ الغُرُورْ

يَعْتَقِدْ فِي مَذْهَبِي الفَوْزَ اليَقِينْ

فِي غَرَامْ أمْ الشُّرُورْ

لَوْ تَقُولْ أُمُّ الصَّفَا لِلشَّارِبِينْ

قُولْ كَمَانْ أُمُّ الكَبَايِرْ وَالمَصَايِبْ

عَنْدَهَا الوِيلُ والخَسَارَه

فِي هَوَاهَا تَخْسَرُ المَالَ والشَّرَفْ

كُلُّ كَاسٍ مِنْهَا دَعَارَه

فِي طَرِيقِهَا كُلُّ أَسْبَابِ التَّلَفْ

قَالُوا أَصْلُ النَّارِ شَرَارَه

وَأَصْلُهَا مِنْ أَخْبَثِ العُودِ انْصَرَفْ

مَهْلَكُ الأَحْرَارِ حَلَاوَتُهَا مَرَارَه

واللِّي شَارِيهَا بِحْ سُوءِ العَوَاقِبْ

كام حلفت بهجرها والكذب في يميني
ضاعت الايمان هدر

كام اقول يا نفس عنها ابعدي ني
واستعدي للسفر

أرشدك واجب عليكي تنصفيني
قبل ما أصبح أثر

أغلبك بالخير وبالسوء تغلبيني
وابني ركن الصدق تبني حصن كاذب

قالوا في الكاس روحانيه

والروح انيه الصحيحه من هباته

روحها أو هام شيطانيه

هي روحانية المحروم في ذاته

قام جعل منها مطيه

وهي زور كذابه والى الزور صفاته

له خيال باطل وله حاله صناعيه

قلبه ولسانه وحتى الروح أجانب

لو جعلت العزلة في الدنا نصيبك
تعرف العيش السعيد
مشن جميع الناس صديقك أو حبيبك
مشن جميع أيام العيد
فيه بعيد يوفي ويعذر بك قريبك
كام قريب لكن بعيد
يمكن الموت في دوامن إيد طبيبك
والحياة من سقم في بعض التجارب

دنيا ميدانها شرور

والنجاح فيها الأسرار في غايات

سعدها لأهل الغرور

والخسيس مضمون نجاحه في الحياة

هي تزور صاحبها زور

جرد الروح من جميع المكرمات

والحسد في الناس طبيعة من دهور

واللئيم فاز من حظها خادع موارب

انتظار خير من جحود جهل وغرامه

والجحود خصم الفضيله

والحسود من صحبته تجنى الندامه

وتبقى موصوف بالرذيله

اشكره لو جاد عليك يوم بالسلامه

فيه دوا من ايد عليله

لو سلمت من المآخذ والملامه

كان يكون حظك سعيد وانت اللى غالب

الحظوظ مقسومة فينا

والهوى يجري على غير المراد

بعض شيء منها يوافينا

بعد بذل العمر كله في جهاد

وان غضبنا أو رضينا

الا لم والشكوى عصيان وانتقاد

واللي قالوا كام تعبنا وكام سعينا

قول لهم حق الذكا قبل المطالب

لهف قلبي يا ترى يعود الشباب
والزمان اللي مضى

مع أحبابنا اللي غابوا في التراب
والا كان حلم انقضى

والزهور جفت وشادي الصفو غاب
راح وبالهجر ارتضى

واللي طال هجرانه لم يبعث جواب
كان يعزي القلب ويقول ما اللي غايب

لو شعاع الحق يظهر

للعيون في ساحة الدنيا العظيمه

تلقى نور العدل يبهر

كل عميان القلوب اهل النميمه

والمهج بالتوبه تعمر

والنفوس ترجع حب الخير كرمه

واللي تاه في أوسع الوديان ويقدر

ع الرجوع يطوي المشارق والمغارب

آهٍ لو يعلم بأسرار الغيوب

لو قرا المنحوس كتابه

كان دعا رب القضا يمحي الذنوب

أو دعاه يسقط حسابه

كان يجيب لوح من ذهب خالي العيوب

يجعله صفحة جنابه

في الميعاد أو في الصراط وقت الكروب

يلقى لوح خيرات ذهب مليان مناقب

إنتَ يا بدرَ الوجودْ
نورُكَ الهادِي لعُشّاقِ الجمالْ
عُودْ لأهلِ الصّفوِ عُودْ
إحنا في روضِ الصّفا أجملْ مِثالْ
إنْ طوانِي الموتْ تجودْ
بالزّيارَه وتنشرِ النّورْ في الرّمالْ
تِنعِش الرّوحْ مِن سَنا بدرِ السّعودْ
عادة الأرواحْ بتِسعِدها الكواكِبْ

يا كريم بابك قصدناه بالخضوع
جود بعطفك يا سميع
كم يساوي قلب لم يعرف خشوع
عبدك التايب مطيع
كم تساوي عين نخيله بالدموع
والبكا أكبر شفيع
والندم فيه اعتراف لك بالرجوع
للصواب والعفو غاية كل تايب